الوجوه والنظائر فى كتاب "الأفراد" لابن فارس
دراسة دلالية

الدكتور
عمر عبد المعطى أبو العينين
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية التربية – جامعة المنصورة

الملخص

هذا موضوع يعالج ظاهرة المشترك اللفظى فى القرآن الكريم . والمشترك اللفظى من الظواهر اللغوية التى تشيع فى كثير من ألفاظ اللغة مثال ذلك (النَّوى) : الدار ، والنَّوى النيَّة، والنَّوى البعد . كما نجد لها أمثلة عديدة فى القرآن الكريم من ذلك (الأسفار) : التى تعنى ، المنازل والقرى كما فى قوله تعالى (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَينَ أَسْفَارِنَا) (١٩ – سبأ) ، وتعنى: الكتب ، كما فى قوله تعالى (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) (٥– الجمعة) . وهو من الموضوعات التى اهتم بها القدماء وعرضوا لها فى مؤلفاتهم التى حملت عناوين الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر .

وتتجلى أهمية دراسة المشترك اللفظى فى القرآن الكريم فى كونها وثيقة الصلة بقضية الدلالة فى الكتاب العزيز وما لها من أثر فى تفسيره وفهمه .

وقد اهتم السلف الصالح بالقرآن الكريم وتأويله اهتماما يليق بمكانته ومنزلته ، وهو ما توارثه مَنْ أتى بعدهم فجدوا واجتهدوا فى ذلك ما وسعهم الجد والاجتهاد . وهو ما نجد الإشارة إليه فيما ذهب إليه صاحب المقدمة فى قوله : "أما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جُمَلا جُمَلا ، وآيات آياتٍ ، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الواقع ، ومنها ما هو فى العقائد الإيمانية ومنها ما هو فى أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخًا له . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه ، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه ، كما علم من قوله تعالى (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) ، أنها نعى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمثال ذلك .

Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings on the Seal of the Prophets Prophet Muhammad, peace be upon him, and upon his family and companions.

This research deals with the theme of "the faces and isotopes in the book" INDIVIDUALS "by Ibn Fares: A Semantic Study".

A topic that deals with the common phenomenon of verbal in the Koran. And co-verbal linguistic phenomena which are common in many of the words of the language eg (cores): Casablanca, and the intention cores, and cores Dimension. We also find its numerous examples in the Holy Quran that (travel), which means homes and villages, as in the verse (Our Lord, distance us from our destinations) (19 - SABA), meaning: books, as in the verse (like the donkey carrying books) (5. Friday). One of the topics I'm interested in the ancient and offered its compositions that carried likes and isotopes or isotopes faces and addresses including.

The importance of verbal joint study in the Holy Quran in being closely related to the issue of significance in the Holy Book and its impact on the interpretation and understanding.

Ancestors were interested in the Holy Quran and interpreted attention befitting his stature and his status, which is handed down from one Fjdoa came after them and so diligent in what they can diligence. It is what we find reference to it in view of the owner provided in saying: "The interpretation must know that the Koran down language of the Arabs, and the eloquence methods, were all understand it, and they know its meaning in the vocabulary and compositions, and was revealed sentences by sentences and the verses of the verses, the statement monotheism and religious assumptions, according to Indeed, some of which is in the doctrines of faith and some of which is in the provisions of prey, and some are advancing and some are delayed and have copiers him. The Prophet, peace be upon him shows the total distinguishes copyist of the copied and knows his companions Frvoh, and knew the reason for the revelation of verses and appropriate them transferred him, also aware of the meaning (if Nasrallah came and Conquest), they mourned the death of the Prophet, peace be upon him, and so on.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

يتناول هذا البحث موضوع " الوجوه والنظائر فى كتاب "الأفراد" لابن فارس دراسة دلالية ".

وهو موضوع يعالج ظاهرة المشترك اللفظى فى القرآن الكريم . والمشترك اللفظى من الظواهر اللغوية التى تشيع فى كثير من ألفاظ اللغة مثال ذلك (النَّوى) : الدار ، والنَّوى النيَّة، والنَّوى البعد [١] . كما نجد لها أمثلة عديدة فى القرآن الكريم من ذلك (الأسفار) : التى تعنى ، المنازل والقرى كما فى قوله تعالى (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَينَ أَسْفَارِنَا) (١٩ – سبأ) ، وتعنى: الكتب ، كما فى قوله تعالى (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) (٥– الجمعة) . وهو من الموضوعات التى اهتم بها القدماء وعرضوا لها فى مؤلفاتهم التى حملت عناوين الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر ومن ذلك :

– الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخى (ت ١٥٠ هـ)

– التصاريف:تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ)

- الأشباه والنظائر فى الألفاظ القرآنية التى ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها ، للثعالبى (ت٤٢٩هـ)

– الوجوه والنظائر، لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى (ت ٤٧٨ هـ) .

– قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ، لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) .

– كشف السرائر فى معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، لابن العماد (ت ٨٨٧ هـ)

وتتجلى أهمية دراسة المشترك اللفظى فى القرآن الكريم فى كونها وثيقة الصلة بقضية الدلالة فى الكتاب العزيز وما لها من أثر فى تفسيره وفهمه .

وقد اهتم السلف الصالح بالقرآن الكريم وتأويله اهتماما يليق بمكانته ومنزلته ، وهو ما توارثه مَنْ أتى بعدهم فجدوا واجتهدوا فى ذلك ما وسعهم الجد والاجتهاد . وهو ما نجد الإشارة إليه فيما ذهب إليه صاحب المقدمة فى قوله : "أما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جُمَلا جُمَلا ، وآيات آياتٍ ، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الواقع ، ومنها ما هو فى العقائد الإيمانية ومنها ما هو فى أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخًا له . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبين

المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه ، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه ، كما علم من قوله تعالى (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [٢] ، أنها نعى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمثال ذلك . ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوما ، ودونت الكتب ، فكتب الكثير من ذلك ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين ، وانتهى ذلك إلى الطبرى والواقدى والثعالبى وأمثال ذلك من المفسرين ، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار ... وصار التصنيف على صنفين :

تفسير نقلى مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف ، وهى معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الرأى ، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين .

والصنف الآخر من التفسير هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى حسب المقاصد والأساليب . وهذا الصنف من التفسير قلّ أن ينفرد عن الأول ، إذ الأول هو المقصود بالذات ، وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة . نعم قد يكون فى بعض التفاسير غالبًا . ومن أحسن ما اشتمل على هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشرى من أهل خوارزم العراق " [٣].

والتفسير عند الزركشى " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه . واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات . ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ . وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات ؛ ما بين مختصر ومبسوط ، وكلهم يقتصر على الفن الذى يغلب عليه ؛ فالزجاج والواحدى فى البسيط يغلب عليهما الغريب ، والثعلبى يغلب عليه القصص ، والزمخشرى علم البيان ، والإمام فخر الدين علم الكلام وما فى معناه من العلوم العقلية" [٤] .

يتضح مما تقدم وقوع التباين فى تفاسير القرآن تبعا لهدف العلماء من وراء هذا التفسير . فبعضهم يهتم بالناحية اللغوية ، وبعضهم يهتم بالأحكام الشرعية ، وبعضهم يهتم بالقراءات وبعضهم يعظم اهتمامه بالألفاظ القرآنية الغريبة أو التى يندر استعمالها وهو ما أطلقوا عليه غريب القرآن ومنه ما يكون من الاهتمام بالمفردات من حيث دلالاتها ومعانيها المختلفة وهو ما تناولوه تحت اسم " الوجوه والنظائر " . وهو أحد علوم القرآن التى لا يستغنى عنها عند تفسير القرآن الكريم . وقد أفرد الزركشى النوع الرابع من علوم القرآن فى كتابه الشهير (البرهان فى علوم القرآن) للحديث عن (الوجوه والنظائر) وقدمه بقوله : "

وقد صنف فيه قديما مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابن الزاغونى وأبو الفرج بن الجوزى ، والدامغانى الواعظ، وأبو الحسين بن فارس ، وسمى كتابه " الأفراد " "(٥)

وكتاب (الأفراد) لابن فارس هذا هو موضوع هذا البحث حيث نتناول ما قدمه ابن فارس فيه من الألفاظ القرآنية التى رأى أنها تندرج تحت اسم " الوجوه والنظائر" حيث ننظر فيما قدمه ابن فارس ومنهجه الذى عرض من خلاله لهذه الألفاظ ومدى توفيقه فى ذلك . وما أوجه القصور التى أصابت منهجه وفيما تمثلت . وقد قام منهج الدراسة على تناول الموضوعات الآتية : تعريف موجز بابن فارس – ثم التعريف بكتاب (الأفراد) ومنهج ابن فارس فيه – ثم بيان المعنى المقصود بالوجوه والنظائر . ثم تناول الكلمات التى ذكرها ابن فارس فى كتاب (الأفراد) للنظر فيما ذهب إليه ابن فارس فيها ، ما له وما عليه وأخيرا تكون الخاتمة يليها مراجع البحث .

وموضوع البحث فيما أرى ذو أهمية كبيرة حيث يتناول قضية لغوية شائكة هى قضية المشترك اللفظى وما لها من أثر ودور فى الجانب الدلالى وهو غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية فما بالنا وهو هنا بتناول الدلالة اللغوية فى القرآن الكريم من خلال دراسة (المفردة) القرآنية وهو ما يستوجب الاحتشاد لهذا التناول بالعلم والدراية والدقة والإتقان والضبط والحذر والحيطة مع الورع والخشية من الله ، ولنا فى سلفنا الصالح القدوة والمثل فى تحرجهم وورعهم وخشيتهم من التجرؤ على كتاب الله والإقدام على تفسير شيء منه مع ما كانوا عليه من الحفظ والإتقان . فإن كان ولابد فلا أقل من التزام أعلى درجات الدقة فى التناول والاجتهاد فى تحصيل المقصود والتثبت من كل كلمة بل كل حرف قبل إطلاقه وبخاصة أن لكل لفظ من ألفاظ التنزيل الكريم خصوصيته وتميزه وتفرده بما يتوافق مع كونه الكتاب الخاتم المعجز .

أسأل الله العلى القدير أن يتقبل عملى هذا وأن يجعله ابتغاء مرضاته . وأن ينفع به فى خدمة كتابه الكريم وخدمة العربية لغة كتابه العزيز ولله الحمد فى الأولى والآخرة .

ابن فارس وكتابه " الأفراد "

ابن فارس [٦] هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، لم تعرف سنة ولادته ، واختلف فى موطنه الأصلى أَولِدَ بقزوين ونشأ بالرَّىّ ، أم أن أصله من همذان ورحل إلى قزوين ؟ وكان ابن فارس قد حُمل إلى الرَّىِّ بأجرة ، ليقرأ عليه مجدُ الدولة ، أبو طالب بن فخر الدولة ، عَلىّ بن ركن الدولة بن أبى الحسين بُوَيْه الدَّيْلمِىِّ صاحب الرى ، فأقام بها قاطنا .

وكان ابن فارس واسع الأدب ، متبحرا فى اللغة العربية ، وكان يجمع بين إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء وهو من أعيان أهل العلم ومن أئمة أهل اللغة فى وقته وكان كريم النفس ، جواد اليد ، لا يكاد يرد سائلا ، حتى يهب ثيابه وفرش بيته ، ومن رؤساء أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث ، وتوفى بالرَّى فى صفر ، سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، ودفن مقابل مشهد القاضى ، على بن عبد العزيز الجرجانى – رحمهما الله تعالى – ومن أشعاره التى قيل أنه قالها قبل وفاته بيومين :

يا ربِّ إن ذُنُوبى قد أحَطْتَ بها عِلْمًا وَبِى وبإعْلانِى وإسْرَارِى

أنا المُوحِّدُ لكِنِّى المُقِرُّ بها فَهَبْ ذنوبى لتوحيدى وإقرارى

ولابن فارس مؤلفات عديدة منها :

المجمل ، متخير الألفاظ ، فقه اللغة ، غريب إعراب القرآن ، تفسير أسماء النبى عليه الصلاة والسلام ، مقدمة كتاب دار العرب ، حلية الفقهاء ، العِرْق ، مقدمة الفرائض ، ذخائر الكلمات ، شرح رسالة الزُّهرى إلى عبد الملك بن مروان ، الحَجْر ، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، صغير الحجم ، الليل والنهار ، العم والخال ، أصول الفقه ، أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، الصاحبى ، صنفه لخزانة الصاحب بن عباد ، جامع التأويل فى تفسير القرآن ، أربع مجلدات ، الثياب والحُلِىِّ ، خَلْق الإنسان، الحماسة المحدثة ، مقاييس اللغة ، كفاية المتعلمين فى اختلاف النحويين ، ذم الخطأ فى الشعر ، ذم الغيبة ، محنة الأريب ، مأخذ العلم ، المحصل فى النحو ، النيروز – اليشكريات كتاب (الأفراد) [٧] .

(كتاب الأفراد) موضوع هذا البحث ذكره الزركشى فى كتابه : البرهان فى علوم القرآن فى معرض حديثه عن مَنْ صنفوا فى علم (الوجوه والنظائر) حيث ذكر منهم: (الحسين بن فارس وسمى كتابه "الأفراد") [٨].

أما عن مادة الكتاب ومنهج ابن فارس فيه فجاءت على النحو الآتى :

- مادة الكتاب تضمنت خمسا وثلاثين كلمة من كلمات المشترك اللفظى التى عالجها ابن فارس تحت اسم (الوجوه والنظائر) أحد علوم القرآن التى يعتمد عليها فى تفسيره .
- طريقة تناول ابن فارس لهذه المفردات تبدأ بقوله : " كل ما فى كتاب الله من ...." أو " كل ما فى القرآن من ذكر ...." أو " وما فى القرآن من ذكر ...." أو " .... فى القرآن ...." أو " كل حرف فى القرآن من ...." أو " وكل شئ فى القرآن من ...." أو " كل ... فى القرآن .... " وكلها تنويعات يفهم منها أن ما يقدمه بمثابة استقصاء تام ودقيق لكل ما ورد فى القرآن الكريم فيما يتصل باللفظ المتناول .
- كان ابن فارس يقدم أحيانا شاهدا على ما يقصده بـ (كل) التى يبدأ بها كلامه مثال ذلك قوله " كل ما فى القرآن من (الأسف) فمعناه الحزن كقوله تعالى فى قصة يعقوب عليه السلام (يَا أَسَفَا على يوسف) . لكنه فى حالات أخرى لا يقدم شاهدا على ما يذهب إليه ومن ذلك عند عرضه (للبر والبحر) قال : " وما فى القرآن من ذكر (البر) و(البحر) فإنه يراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس ولا يقدم شاهدا على هذا الذى ذهب إليه .
- يبدو من عرض المادة اللغوية لكتاب الأفراد أن ابن فارس التزم فيها الترتيب الألفبائى حيث الكلمات التى تبدأ بالألف ثم الباء وهكذا حتى الياء . ولكن هذا الترتيب انتقض بسبب آخر الكلمات التى قدمها وهى (الصبر) التى جاءت تالية لـ (يأس) ولم يتضح السبب وراء ذلك . وكان ينبغى إدراجها بعد لفظة (شهيد) حتى ينتظم الترتيب فى مادة الكتاب كلها .
- عقَّب الزركشى فى نهاية المادة اللغوية لكتاب (الأفراد) بقوله " انتهى ما ذكره ابن فارس" ولم يتضح هل المقصود بذلك أن ما عرضه كان ممثلا لمادة الكتاب كاملة أم أن ما قدمه يمثل اختياراً أو بعضا مما فى كتاب الأفراد . وكان الأحرى به أن يحدد بوضوح دلالة ما يقصده .
- أما مادة الكتاب كما قدمها ابن فارس فلنا عليها مآخذ متعددة على ما سنبينه فى موضعه من هذا البحث ، ولعل أهم المآخذ التى سجلناها فى هذا السياق ما تمثل فى حالة التسرع والتعجل فى إطلاق تعميمات غير دقيقة وغير صحيحة ، إلى جانب افتقاد عنصرى الدقة والضبط فى بعض معالجاته اللغوية للمفردات التى عرض لها على ما سنذكره وندلل عليه وكلها مآخذ ما كان ينتظر وقوعها أو حدوثها وبخاصة فى حالتنا هذه التى تعرض قضية الوجوه والنظائر فى

القرآن الكريم وما لها من صلة بالدلالة فى التنزيل العزيز وما لها من دور وأثر بارزين فى تفسيره .

الوجوه والنظائر :

قدم الزركشى كتاب (الأفراد) لابن فارس باعتباره أحد المؤلفات المهمة فى علم (الوجوه والنظائر) فما هو المقصود بالوجوه والنظائر ؟ يتناول علم الوجوه والنظائر الألفاظ المفردة حينما يتم استخدامها فى سياقات مختلفة فتكتسب هذه المفردة كل معنى من معانيها المتعددة من خلال السياق الذى ينتظمها . بمعنى أن الكلمة المفردة فى القرآن الكريم ترد فى آيات متعددة ولكنها فى كل آية ذات دلالة مختلفة أو مغايرة عن دلالتها فى الآية الأخرى تبعا لسياق كل واحدة منها . وبهذا تكون كل كلمة ترد فى سياق ويذكر نظيرها فى سياق آخر ممثلة لما يعرف بالنظائر ويكون كل معنى من المعانى المختلفة لهذه الكلمة تبعا لسياقاتها المختلفة ممثلا لما يعرف بالوجوه .

أى أن النظائر تختص بالألفاظ بينما تختص الوجوه بالمعانى .

بقول صاحب البرهان " فالوجوه اللفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معان ، كلفظ " الأمة " ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة . وقيل : النظائر فى اللفظ ، والوجوه فى المعانى وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر[٩] . وذكر مقاتل فى صدر كتابه حديثا مرفوعا [١٠] ، " لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة . فمنه " الهدى " سبعة عشر حرفا :

بمعنى البيان ، والدين ، والإيمان ، والداعى ، والرسل والكتب ، والمعرفة ، والرشاد ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ، والتوراة ، والاسترجاع ، والحجة ، والتوحيد ، والسنة ، والإصلاح ، والإلهام ، والتوبة . [١١] .

ونتحول الآن إلى عرض كتاب (الأفراد) لابن فارس .

قال ابن فارس فى كتاب " الأفراد " :

كل ما فى كتاب الله من ذكر " الأسف " فمعناه الحزن كقوله تعالى فى قصة يعقوب عليه السلام (يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ) [١٢] إلا فى قوله تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا) [١٣] فإن معناه " أغضبونا "؛ وأما قوله فى قصة موسى عليه السلام : (غَضْبَانَ أَسِفًا) [١٤] فقال ابن عباس " مغتاظا " [١٥] عرض ابن فارس هنا لدلالة " الأسف " وقدم لها معان ثلاثة هى : الحزن – الغضب – الغيظ. ولو عدنا إلى التنزيل الكريم نجد أن مادة (أسف) وردت خمس مرات ذكر منها ابن فارس أربعة (يَا أَسَفَا) ٨٤ يوسف ، (غَضْبَانَ

أَسِفًا)الأعراف ١٥٠ – طه ٨٦ (فَلَمَّا آسَفُونَا) الزخرف ٥٥ – والخامسة التى لم يشر إليها فى قوله تعالى (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) [١٦] .

وإذا عدنا إلى كتب التفسير وجدنا بعض التوافق مع ما ذهب إليه ابن فارس كما نجد بعض التخالف على النحو الآتى : فى تفسير القرطبى [١٧] فى تأويل " يا أسفا على يوسف " معناه يا حزناه ، وفى تفسير الطبرى " وأعرض عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف يعنى يا حزنا عليه . يقال إن الأسف هو أشد الحزن والتندم " [١٨] .

وفى الكشاف [١٩] " يا أسفى " أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه " .

وفيه كذلك عند تأويل آية الكهف (أَسَفًا) [٢٠] والأسف المبالغة فى الحزن والغضب .

ونخرج مما سبق بدلالتين إضافيتين إلى دلالات (الحزن – الغضب – الغيظ) التى ذكرها ابن فارس. فقد أضاف الطبرى دلالة (التندم) ، كما أضاف الزمخشرى دلالة (الحسرة) هذا بالإضافة إلى الاختلاف فى عرض معنى (الأسف) وهل هو (الحزن) وكفى أم (أشد) الحزن وكذا الاختلاف بين كون الحزن منفردا أم يقترن بالغضب كما فى آية الكهف وكلها تنويعات دلالية لا ينبغى التعامل معها باعتبارها (كلها) هكذا شيئا واحدا باستثناء لم يكن وحده كافيا فى الإفصاح عن الدلالات المقصودة بالدقة المطلوبة وبخاصة أنها جاءت فى سياق النص القرآن الذى يستدعى دقة التناول والحرص فى التأويل .

– ويقول ابن فارس [٢١] : "وكل ما فى القرآن من ذكر "البروج" فإنها الكواكب ، كقوله تعالى(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) [٢٢] إلا التى فى سورة النساء : (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) [٢٣] ، فإنها القصور الطوال ، المرتفعة فى السماء الحصينة" .

وهذا ما نجد مثله فيما ذهب إليه صاحب التفسير الكبير فى قوله " البروج فى كلام العرب هى القصور والحصون وأصلها فى اللغة من الظهور . يقال : تبرجت المرأة ، إذا أظهرت محاسنها، والمشيدة المرتفعة " [٢٤]

وفى الكشاف " البروج: الحصون . مشيدة . مرفعة " [٢٥] . وهذا مما لا خلاف حوله .

– ويقول ابن فارس [٢٦] : " وما فى القرآن من ذكر " البر " و " البحر " فإنه يراد بالبحر الماء، وبالبر التراب اليابس ، غير واحد فى سورة الروم (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) [٢٧] فإنه بمعنى البرية والعمران . وقال بعض علمائنا : (فى البر) قَتْل ابن آدم أخاه ، وفى (البحر) أخذ الملك كل سفينة غصبا " .

ونحاول الآن أن ننظر فى الدلالات الأخرى التى دلت عليها لفظتا البر والبحر وذلك من عرض أقوال بعض المفسرين واللغويين على النحو الآتى :

١- جاء فى الكليات لأبى البقاء الكفوى " البر والبحر " كل ما فى القرآن من ذكر البر والبحر فالمراد بالبر التراب اليابس ، وبالبحر الماء . إلا (ظهر الفساد فى البر والبحر) فإن المراد من البر العمران ، وقيل : المراد بالبر ثمة البوادى والمفاوز ، وبالبحر المدائن والقرى التى هى على المياه الجارية . قال عكرمة : العرب تسمى المصر بحرا . تقول : أجدب البر ، وانقطعت مادة البحر[٢٨]

فيما يتصل بدلالة لفظ (البحر) نجد أن اللفظ قد تردد فى التنزيل الكريم فى أكثر من موضع وأكثر من سياق ومن ذلك : قوله تعالى : (اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً) [٢٩] . ومثله فى قوله تعالى(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ) [٣٠] . والبحر هنا اليم .

٢- فى قوله تعالى : (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) [٣١] .يقول الزمخشرى [٣٢] " مجمع البحرين : المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق . ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين فى العلم " .

وفى التفسير الكبير وأما مجمع البحرين فهو المكان الذى وعد فيه موسى بلقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وقيل غيره ، وليس فى اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين ، فإن صح بالخبر الصحيح شئ فذاك وإلا فالأولى السكوت عنه ، ومن الناس من قال : البحران موسى والخضر لأنهما كانا بحرى العلم . [٣٣]

وهنا نلحظ أحد الأقوال غير الصحيحة فى تفسير معنى البحرين بموسى والخضر وهو من بدع التفاسير على حد تعبير الزمخشري .

٣- قوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) [٣٤] يعنى الماء العذب والملح . وقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [٣٥] . فالدلالة هنا تطلق على الماءين العذب والمالح .

٤- فى قوله تعالى (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) [٣٦] . ذهب الطبرى فى تأويل الآية إلى قوله " اختلف أهل التأويل فى معنى البحر المسجور فقال بعضهم الموقد وتأول ذلك والبحر الموقد المحمى . وعن ابن أبى نجيح عن مجاهد والبحر المسجور قال الموقد . قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والبحر المسجور قال الموقد وقرأ قول الله تعالى (وإذا البحار سجرت) قال أوقدت وقال آخرون بل معنى ذلك وإذا البحار ملئت وقال المسجور المملوء . وقال آخرون بل المسجور الذى ذهب ماؤه . عن ابن عباس فى قوله والبحر المسجور قال سجره حين يذهب ماؤه ويفجر . وقال آخرون المسجور المحبوس . ويروى كذلك عن ابن عباس فى قوله والبحر المسجور يقول المحبوس .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال معناه والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه فى بعض وذلك أن الأغلب من معانى السجر الإيقاد كما يقال سجرت التنور بمعنى أوقدت أو الامتلاء على ما وصفت ... فإذا كان ذلك الأغلب من معانى السجر وكان البحر غير موقد اليوم. وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور فبطل عندى إحدى الصفتين وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التى هى له اليوم وهو الامتلاء لأنه كل وقت ممتلئ . وقيل إن هذا البحر المسجور الذى أقسم به ربنا تبارك وتعالى بحر فى السماء تحت العرش " (٣٧) .

وهكذا يكون من دلالات لفظ البحر : البحر الموقد أو البحر المحبوس أو بحر تحت العرش . هذا بالإضافة إلى الدلالات التى سبقت الإشارة إليها وهى البحر بمعنى المدائن .

وفى التفسير الكبير من تأويل (فى البر والبحر) جاء قوله : (قال بعض المفسرين : المراد خوف الطوفان فى البر والبحر ، وقال بعضهم : عدم إنبات بعض الأراضى وملوحة مياه البحار، وقال آخرون : المراد من البحر المدن . فإن العرب تسمى المدائن بحورا لكون مبنى عمارتها على الماء ويمكن أن يقال : إن ظهور الفساد فى البحر قلة مياه العيون فإنها من البحار " (٣٨) .

نلحظ بعد ما تقدم أن من دلالات لفظ (البحر) التى وردت فى الآيات القرآنية :

– البحر بمعنى اليم – البحر بمعنى المدائن – البحر بمعنى الماء العذب أو المالح – البحر بمعنى البحر المحبوس أو المملوء أو الموقد – أو بمعنى بحر تحت العرش . وقول آخر بمعنى موسى والخضر باعتبار كل منهما بحرا فى العلم وإن كان هذا من بدع التفاسير . إلا أن وجود القول به يفرض عرضه لبيان فساده وحتى لا ينخدع به بعض مَنْ يقع على مثل هذه الأقاويل الفاسدة . وننتهى إلى أن ابن فارس لم يعرض من هذه الدلالات إلا البحر بمعنى الماء دون أى تحديد أو إضافة أو بيان يجلى الدلالات المتعددة للفظ فى السياقات المختلفة .

– ويقول ابن فارس : " والبخس فى القرآن النقص ؛ مثل قوله تعالى : (فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً) (٣٩) إلا حرفا واحدا فى سورة يوسف : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) (٤٠) ؛ فإن أهل التفسير قالوا: بخس : حرام " (٤١) يقول الفخر الرازى : (كونه بخسا : قال ابن عباس : يريد حراما لأن ثمن الحر حرام ، وقال كل بخس فى كتاب الله نقصان إلا هذا فإنه حرام ، قال الواحدى : سموا الحرام بخسا لأنه ناقص البركة ، وقال قتادة : بخس : ظلم ، والظلم نقصان ، يقال ظلمه أى نقصه ، وقال عكرمة والشعبى : قليل ، وقيل ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا ، وقيل كانت الدراهم زيوفا ناقصة العيار . قال الواحدى رحمه الله تعالى . وعلى الأقوال كلها ، فالبخس مصدر وضع موضع الاسم ، والمعنى بثمن مبخوس (٤٢) .

وواضح أن ما قدمه ابن فارس هنا يوافق ما ذهب إليه المفسرون .

– ويقول ابن فارس : " وما فى القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ، كقوله تعالى : (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) (٤٣) إلا حرفا واحدا فى الصافات: (أَتَدْعُونَ بَعْلًا) (٤٤) ، فإنه أراد صنما" (٤٥) .

وردت مادة (بعل) فى عدة آيات من الكتاب الكريم غير الآيتين السابقتين وذلك على النحو الآتى:

– (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً) (٤٦) .

– (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) (٤٧) .

– (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو آبَائِهِنَّ أَو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو أَبْنَائِهِنَّ أَو أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ) (٤٨) .

وواضح من الآيات السابقة دلالة لفظ (البعل) على معنى الزوج إلا آية الصافات وهى ما نقف معه هنا لنستجلى الدلالة المقصودة من ورائه . يقول الفخر الرازى " فى البعل : قولان أحدهما: أنه اسم علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب ، وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه. وفتنوا به وعظموه ، حتى عينوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء ... والقول الثانى: أن البعل هو الرب بلغة اليمن ، يقال من بعل هذه الدار ، أى من ربها ، وسمى الزوج بعلا لهذا المعنى ... فعلى هذا التقدير المعنى : أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله " (٤٩) .

ومثله ما نراه فى كشاف الزمخشرى دون اختلاف يذكر (٥٠) .

– وعلى هذا يكون لفظ البعل جاء بدلالة الزوج أو اسم علم على أحد الأصنام .

وبذلك لا يكون من دلالات البعل : الصنم . بل اسم علم لصنم بعينه وإلا جاز أن يطلق اسم بعل على كل صنم أو وثن وهو ما لا دليل ينهض له .

– يقول ابن فارس(٥١) : " وما فى القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالإيمان، كقوله : (صُمٌّ بُكْمٌ) (٥٢) ؛إنما أراد (بُكْمٌ) عن النطق والتوحيد مع صحة ألسنتهم؛ إلا حرفين: أحدهما فى سورة بنى إسرائيل (٥٣) : (عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) والثانى فى سورة النحل : قوله عز وجل (أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) (٥٤) فإنهما فى هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام" .

– وفى تأويل آية البقرة يقول الفخر الرازى " اعلم أنه لما كان المعلوم من حالهم إنهم كانوا يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع حمل ذلك على الحقيقة فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن وما يظهره الرسول من الأدلة والآيات بمن هو أصم فى الحقيقة

فلا يسمع ، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب فلذلك جعله بمنزلة الأبكم ، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى " [٥٥] .

وفى تأويل آية الإسراء ذكر أقوالا : الأول : قول ابن عباس : عميا لا يرون شيئا يسرهم ، صما لا يسمعون شيئا يسرهم ، بكما لا ينطقون بحجة . الثانى : قال فى رواية عطاء : عميا عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه ، بكما عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين ، صما عن ثناء الله تعالى على أوليائه . الثالث : قال مقاتل : إنه حين يقال لهم " : (اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)[٥٦] يصيرون عميا بكما صما . أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون . والرابع : أنهم يكونون رائين سامعين ناطقين فى الموقف ولولا ذلك لما قدروا على أن يطالعوا كتبهم ولا أن يسمعوا إلزام حجة الله عليهم ، إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم الله عميا وبكما وصما . والجواب أن الآيات السابقة تدل على أنهم فى النار يبصرون ويسمعون ويصيحون) [٥٧] وفى تفسير آية النحل : " الأبكم" فى تفسيره أقوال نقلها الواحدى : الأول : قال أبو زيد رجل أبكم ، وهو العيى المقحم ، وقد بكم بكما وبكامة ، وقال أيضا : الأبكم الأقطع اللسان ، وهو الذى لا يحسن الكلام . الثانى : روى ثعلب عن ابن الأعرابى : الأبكم الذى لا يعقل . الثالث : قال الزجاج : الأبكم المطبق الذى لا يسمع ولا يبصر " [٥٨] .

وفى الكليات " كل ما فى القرآن من ذكر البكم فالمراد الخرس عن الكلام بالإيمان إلا (بُكْمًا وَصُمًّا) الإسراء ٩٧ ، و (أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) النحل ٧٦ . فإن المراد عدم القدرة على الكلام مطلقا[٥٩] .

– مما تقدم يتضح أن (البكم) بمعنى الخرس فى آية سورة البقرة تعبير مجازى خالص بينما البكم بمعنى الخرس فى آيتى سورة الإسراء وسورة النحل إنما هو تعبير حقيقى ومن ثَمَّ فالتفرقة بينها واضحة والسياق الذى ترد فيه كل لفظة من هذه الألفاظ واضح فى تحديد الدلالة المقصودة. ومن ثم لا يمكن أن نتحدث عن البكم الحقيقى والبكم على سبيل المجاز باعتبارهما فى سياق واحد بل الدقة تقتضى إن شئنا أن نضع كل منهما فى حقل دلالى يختلف عن الآخر كأن يكون البكم المعنوى أو المجازى أو على سبيل التشبيه فى حقل المجردات بينما يمكن وضع البكم الحقيقى فى نطاق الحقل الدلالى الخاص بالأحداث وهكذا يتضح أننا لا نتكلم هنا عن شئ واحد هو (البكم) أو (الخرس)على العموم بل نوعين من الخرس أو البكم لكل مجاله وسياقه .

يضاف إلى ما سبق أن دلالة الأبكم جاء كذلك من معانيها الذى لا يعقل وفى دلالة أخرى الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الأبكم المطبق . وهو ما لا نجد أى إشارة إليه فى حديث ابن فارس حال عرضه لمادة (البكم) على نحو ما سبق أن عرضنا له هنا .

وهو ما يؤخذ عليه لعدم إشارته إليه ولو بشكل عرضى أو عابر وبخاصة أن مثل هذا الملمح فى الدلالة إلى كون الأبكم الذى لا يعقل أشار إليه ابن فارس نفسه فى مجمل اللغة حيث قال : البكم: الخرس ، وهو الأبكم ، ويقال : لا يكون أبكم إلا وهناك ضعف عقل [٦٠] .

– يقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن : (جثيا) فمعناه (جميعا) إلا التى فى سورة الشريعة (وَتَرَى كُلّ أُمَّة جَاثِيَة) [٦١] فإنه أراد تجثو على ركبتيها " [٦٢] .

ورد فى التنزيل الكريم من هذه المادة بالإضافة إلى الآية السابقة ، لفظ (جثيا) :

فى قوله تعالى (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) [٦٣] .

وقوله تعالى (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اِتَّقَوْا وَنَذَر الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) [٦٤] .

قال الفخر الرازى فى آية الجاثية " قال الليث : الجثو : الجلوس على الركب كما يجثى بين يدى الحاكم " [٦٥] . أما صاحب الكشاف فقد ذكر فيها قوله : " جاثية " باركة مستوفزة على الركب . وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لأن الجاذى هو الذى يجلس على أطراف أصابعه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة . وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة والجمع جثى وفى الحديث (من جِثِيِّ جهنم) [٦٦] .

وفى تأويل الآية (٦٨) سورة مريم ذهب الفخر الرازى إلى القول " (جثيا) لأن البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل أو صورته صورة العاجز ، فإن قيل : هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى (وَتَرَى كُلّ أُمَّة جَاثِيَة) الجاثية ٢٨ – والسبب فيه جريان العادة أن الناس فى مواقف المطالبات من الملوك يتجاثون على ركبهم لما فى ذلك من الاستنظار والقلق ، أو لما يدهمهم من شدة الأمر الذى لا يطيقون معه القيام على أرجلهم ، وإذا كان هذا عاما للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار ؟ قلنا لعل المراد أنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور فى الموقف على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد الذل فى حقهم " [٦٧] .

وفى الآية ٧٢ سورة مريم يقول: (وَنَذَر الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) وهذا يدل على أنهم يبقون فى ذل الموضع الذى وردوه وهم إنما يبقون فى النار، فلابد وأن يكونوا قد دخلوا النار" [٦٨] .

وفى الكشاف الآية (٦٨) سورة مريم . " فإن قلت : ما معنى إحضارهم جثيا ؟ قلت : أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثوِّ ... على العادة المعهودة فى مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثى أهلها على الركب لما فى ذلك من

الاستيفاز والقلق وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التى لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبواً ، وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا فى الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب " (٦٩) .

ومعنى ما تقدم أن كل ما ورد فى القرآن الكريم من (جثيا) تمثل فى مفردات ثلاث هى (جثيا) وردت مرتين فى الآيتين (٦٨ ، ٧٢) سورة مريم ، و (جاثية) مرة واحدة فى الآية (٢٨) سورة الجاثية . وكان المعنى فيها جميعا (من الجثو على الركب) وهو ما يعنى أن ابن فارس قد جانبه الصواب حين ذكر أن هناك فى القرآن الكريم من (جثيا) ما جاء بمعنى جميعا ، وهو ما لا وجود له حسبما زعم .

– يقول ابن فارس : " وكل حرف فى القرآن " حسبان " فهو من العدد ، غير حرف فى سورة الكهف (حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) (٧٠) فإنه بمعنى العذاب " (٧١) .

وفى تأويل الآية يقول الزمخشرى : " الحسبان " مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب ، أى مقدار قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها . وقال الزجاج . عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك . وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة : وهى الصواعق " (٧٢) .

ونلحظ أن ما جاء فى التنزيل الكريم من لفظ (حسبان) ثلاث آيات هى : قوله تعالى فى سورة الرحمن (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) (٧٣) ، وآية سورة الأنعام (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا) (٧٤) وآية سورة الكهف السابق ذكرها .

وفى تأويل آية سورة الرحمن يقول الزمخشرى : " والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ، ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا : جعلهما على حسبان ، لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما " (٧٥) .

ويقول الفخر الرازى فى تأويل (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ): معناه أنه قدر حركة الشمس والقمر بحساب معين ، كما ذكره فى سورة يونس (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) (٧٦) وفى آية سورة الرحمن وتحقيق الكلام فيه أنه تعالى قدر حركة الشمس مخصوصة بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة فى سنة ، وقدر حركة القمر بحيث يتم الدورة فى شهر ، وبهذه المقادير تنتظم مصالح العالم فى الفصول الأربعة ولو قدرنا كونها أسرع أو أبطأ مما وقع ، لاختلت هذه المصالح ، فهذا هو المراد من قوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) ... إذا عرفت هذا فنقول :

معنى جعل الشمس والقمر حسبانا : جعلهما على حساب ، لأن حساب الأوقات لا يُعلم إلا بدَوْرهما وسيرهما " (٧٧) .

وإذا كان ابن فارس قد ذكر أن (حسبانا) من العدد عدا آية سورة الكهف فلعله من المفيد أن نبحث عن العلاقة بين الدلالتين على بعد ما بينهما .

دلالة المادة أصلا على العدد والحساب . والاستعمال فى العدد ، أصل الدلالة فى الحساب ومنه أخذ الحسبان بمعنى التقدير الزمنى كما فى آية سورة الأنعام ، وآية سورة الرحمن ومن دلالة اللفظ على معنى العدد والحساب جاء لفظ (الحساب) بدلالته الاصطلاحية فى الدين الإسلامى بما يحمله من الدلالة على حساب الله لعباده على أعمالهم .

ولعل تحول دلالة اللفظ واستخدامه فى الدلالة على العذاب أو العقاب يومئ إلى معنى (المحاسبة) على العمل كهذا الذى نراه فى سياق آية سورة الكهف (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) فهذا العذاب أو العقاب محصلة المحاسبة على العمل الذى يستحق معه هذا الجزاء بالعذاب والعقاب . على اختلاف ما بين المفسرين فى كنه هذا العذاب أو العقاب على ما نقله أبو حيان فى قوله : " والحسبان قال ابن عباس وقتادة : العذاب وقال الضحاك : البرد . وقال الكلبى : النار . وقال ابن زيد القضاء . وقال الأخفش : سهام ترمى فى مجرى فقلما تخطئ . وقيل : النبل . وقيل : الصواعق . وقيل : آفة مجتاحة . وقال الزجاج : عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك" (٧٨) .

– يقول ابن فارس : " وكل حرف فى القرآن: (حسرة) فهو الندامة ؛ كقوله عزّ وجلّ : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) (٧٩) ، إلا التى فى سورة آل عمران : (لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ) (٨٠) فإنه يعنى به حزنا " (٨١) .

– يقول ابن فارس فى مجمل اللغة : " والحسرة التلهف على الشئ الفائت (٨٢) .

وإذا عدنا إلى آى الذكر الحكيم وجدنا لفظ (حسرة) قد ورد إلى جانب الآيتين السابقتين فى الآيات الآتية :

فى قوله تعالى : (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) (٨٣) .

وقوله تعالى : (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) (٨٤) .

وقوله تعالى: (إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ* وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) (٨٥) .

ذهب ابن فارس إلى تحديد معنى (الحسرة) فى الآيات القرآنية بمعنى الندامة إلا فى آية سورة آل عمران التى يرى أنها جاءت بمعنى (حزنا) . وهو ما يستدعى أن ننظر فى تأويل آية سورة آل عمران ؛ جاء

فى تفسير الطبرى " ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم " يعنى أنهم يقولون ذلك كى يجعل الله قولهم ذلك حزنا فى قلوبهم وغما ويجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده (٨٦) .

وفى الكشاف جاء قوله : " ليجعله الله حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم ، فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى ؟ قلت : معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة فى قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة ، فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله (٨٧) .(يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)" (٨٨) .

ونخلص إلى أن دلالة الحسرة فى الآية تحمل معنى " الحيرة والخيبة وضيق الصدر وهو المراد بالحسرة " (٨٩) . وواضح هنا بجلاء أن معنى الحسرة فى الآية الكريمة لا يعنى (الحزن) فالأمر أبعد وأجل من مثل هذا العرض الذى لا يتناسب وما يكونون عليه واقعا بسبب سوء ظنهم ومعتقدهم الفاسد وهو ما يناسبه أن تتملكهم الحيرة والخيبة وضيق الصدر لا مجرد الحزن على ما ذهب إليه ابن فارس عند تقديمه للفظ الحسرة ودلالاته فى التنزيل الكريم .

أما الآيات الأخريات التى ورد فيها اللفظ فليس فيها ما يعطى تفسيرا بعيدا عن معنى (الندامة) إلا فى آية سورة مريم ٣٩ ويقصد بالحسرة بها على أحد الأقوال الغم .

ففى الآية (٣٦) الأنفال (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) يعنى أن سيقع هذا الإنفاق وتكون عاقبته الحسرة) لأنه يذهب المال ولا يحصل المقصود بل يصيرون مغلوبين فى آخر الأمر (٩٠) .

وفى الآية (٣٩) مريم : (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ). " يوم الحسرة فلا شبهة فى أنه يوم القيامة من حيث يكثر التحسر من أهل النار " ، وقيل : يتحسر أيضا فى الجنة ، إذا لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية . والأول هو الصحيح لأن الحسرة غم وذلك لا يليق بأهل الثواب " (٩١) .

– وفى الآية (٣٠) يس : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) : " أى هذا وقت الحسرة فاحضرى يا حسرة والتنكير للتكثير .. وقيل إن قائل يا حسرة هو الله على الاستعارة تعظيما للأمر وتهويلا له ، وحينئذ يكون كالألفاظ التى وردت فى حق الله كالضحك والنسيان والسخر والتعجب والتمنى . أو نقول : ليس معنى قولنا يا حسرة ويا ندامة ، أن القائل متحسر أو نادم بل المعنى أنه مخبر عن وقوع الندامة . ولا يحتاج إلى تجوز فى بيان كونه تعالى قال " يا حسرة " بل يخبر به على حقيقته إلا فى النداء . فإن النداء مجاز والمراد الإخبار " (٩٢) .

– وفى تأويل الآية (٥٠) الحاقة " (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) " (قال مقاتل : إن تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم إذا رأوا ثواب المصدقين به أو للتكذيب " (٩٣).

– ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن : " الدّحض " و " الداحض " فمعناه الباطل ، كقوله: (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) [٩٤] ، إلا التى فى سورة الصافات : (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) [٩٥] أى من المغلوبين " [٩٦] .

ويبقى من مادة (دحض) فى القرآن الكريم ما جاء فى آية سورة الكهف (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) [٩٧] .

– والداحض : يقال : فلان داحض لا ثبات له ولا عزيمة فى الأمور . والداحضة : يقال حجة داحضة باطلة . والدحض ، مصدر ، ويوصف به على لفظه ، فيقال . مكان دحض : زَلِقٌ [٩٨] .

– وفى تأويل الآية الكريمة جاء تفسير آية سورة الشورى حجتهم (داحضة) بمعنى (باطلة) [٩٩] ، و(باطلة زائلة) [١٠٠] و(باطلة لا ثبوت لها) [١٠١]

وفى تأويل (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) جاء تأويلها " المدحض المغلوب المقروع ، وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة) [١٠٢] .

(فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) أى المغلوبين يقال أدحض الله حجته فدحضت أى أزالها فزالت وأصل الكلمة من الدحض الذى هو الزلق ، يقال : دحضت رجل البعير إذا زلقت) [١٠٣] . و " من المغلوبين وحقيقته من المزلقين عن مقام الظفر فى الاستهام) [١٠٤]

وفى تأويل آية سورة الكهف : (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) وأنه يوجد من الكفار المجادلة بالباطل لغرض دحض الحق) [١٠٥] و (ليدحضوا ليزيلوا) [١٠٦]

وواضح أن هناك بعض الاختلاف وإن كان يسيرا فمن المهم التنبيه إلى كل إضافة دلالية فليست (باطلة) هى (باطلة زائلة) أو (باطلة لا ثبوت لها) كما أن فى (ليدحضوا) إضافة إلى معنى (إبطال الحق) لا تقف عند محاولة إبطاله أو تشويشه أو دحضه بل الذهاب إلى حد إزالته ومحوه وهى درجة أخرى من درجات الدلالة للفظ الدحض أبعد وأدل من سابقاتها .

– ويقول ابن فارس : " وكل حرف فى القرآن من "رجز" فهو العذاب ، كقوله تعالى فى قصة بنى إسرائيل : (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ) [١٠٧] إلا فى سورة المدثر : (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [١٠٨] فإنه يعنى : الصنم ، فاجتنبوا عبادته" [١٠٩] .

ورد فى القرآن الكريم من (رجز) عشر مرات ، تسع منها بكسر الراء (رجز) وهى الواردة فى الآيات (٥٩) البقرة ، (١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٢) الأعراف ، (١١) الأنفال ، (٥) سبأ ، (١١) الجاثية ، (٣٤) العنكبوت . ومرة واحدة بضم الراء (الرُّجز) فى (٥) المدثر . وننظر فى تأويل (الرجز) التى وردت فى

القرآن الكريم ومدى الدقة فى عرض ابن فارس لمعناها بأنه فى (كل) القرآن بمعنى العذاب عدا ما جاء فى سورة المدثر من أنه (الصنم) .

– ونبدأ بآية سورة المدثر (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) يقول الفخر الرازى : (فيه مسائل) : الأولى . ذكروا فى الرجز وجوها : الأول : قال العتبى : الرجز العذاب قال الله تعالى (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ) الأعراف ١٣٤ . أى العذاب . ثم سمى كيد الشيطان رجزا لأنه سبب العذاب . وسميت الأصنام رجزا لهذا المعنى أيضا ، فعلى هذا القول تكون الآية دالة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصى ، ثم على هذا القول احتمالان : أحدهما : أن قوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) يعنى كل ما يؤدى إلى الرجز فاهجره ... والثانى: أنه سمى ما يؤدى إلى العذاب عذابا تسمية للشئ باسم ما يجاوره ويتصل به .

القول الثانى : أن الرجز اسم للقبيح المستقذر وهو معنى الرجس ، فقوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) كلام جامع فى مكارم الأخلاق كأنه قيل له : اهجر الجفاء والسفه ، وكل شئ قبيح ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين المستعملين للرجز ، وقرأ عاصم فى رواية حفص (والرجز) بضم الراء فى هذه السورة وفى سائر القرآن بكسر الراء ، وقرأ الباقون وعاصم فى رواية أبى بكر بالكسر وقرأ يعقوب بالضم ، ثم قال الفراء : هما لغتان والمعنى واحد ، وفى كتاب الخليل الرجز بضم الراء عبادة الأوثان وبكسر الراء العذاب ، ووسواس الشيطان أيضا رجز ، وقال أبو عبيدة : أفشى اللغتين وأكثرهما الكسر" (١١٠) .

وفى الكشاف " والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ، ومعناه : اهجر ما يؤدى إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم ، والمعنى الثبات على هجره لأنه كان بريئا منه " (١١١) .

– مما تقدم نلحظ أن دلالة (الرجز) فى هذا السياق حملت عدة دلالات منها : العذاب – كيد الشيطان ووساوسه – الأصنام – والقبيح المستقذر

وهكذا نرى أن حصر معنى (الرجز) بمعنى (الصنم) وحده فيه إجحاف بالمعنى بل ربما يجعله قاصرا عن الدلالة الدقيقة . فمعنى الصنم وحده بمثابة ظل واحد من ظلال دلالية متعددة لا يمكن غض الطرف عنها أو تجاهلها .

– أما ما جاء فى (الرجز) بالكسر والتى ذهب فيها ابن فارس إلى القول : كل حرف فى القرآن من (رجز) فهو العذاب . هكذا بهذا الإطلاق والتعميم وهو ما يدفعنا إلى استقراء وجوه التأويل المختلفة فى الآيات التى اشتملت لفظة (الرجز) وذلك على النحو الآتى .

– فى آيات (سورة الأعراف ، (الرجز) : ذكر الزجاج أن الرجز والرجس معناهما واحد وهو العذاب) (١١٢)

وفى الكشاف : (فلما كشفنا عنهم الرجز) فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله) [١١٣] .

– وفى تأويل آية سورة البقرة (فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء) الرجز هو العذاب [١١٤] .

– وفى تأويل آية سورة سبأ (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ) الرجز قيل أسوأ العذاب [١١٥] .

وفى تأويل آية سورة العنكبوت (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ) قال الفخر الرازى :" واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم حجارة، وقيل نار وقيل خسف " [١١٦] .

أما آية سورة الأنفال " ويذهب عنكم رجز الشيطان " ففيه وجوه :

الأول : أن المراد منه الاحتلام لأن ذلك من وساوس الشيطان .

الثانى : أن الكفار لما نزلوا على الماء ، وسوس الشيطان إليهم وخوفهم من الهلاك ، فلما نزل المطر ، زالت تلك الوسوسة . روى أنهم لما ناموا واحتلم أكثرهم ، تمثل لهم ، الشيطان وقال أنتم تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون على الجنابة ، وقد عطشتم ولو كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء ، فأنزل الله تعالى المطر حتى جرى الوادى واتخذ المسلمون حياضا واغتسلوا وتلبد الرمل حتى ثبتت عليه الأقدام .

الثالث : أن المراد من رجز الشيطان سائر ما يدعو الشيطان إليه من معصية وفساد [١١٧]

ومثله نراه فى البحر المحيط " رجز الشيطان أى عذابه لكن بوسواسه والرجز العذاب ، وقيل رجزه كيده ووسوسته ، وقيل الجنابة من الاحتلام فإنها من الشيطان [١١٨] .

وهنا أيضا لا ينبغى أن نقتصر على وجه واحد من الوجوه الدلالية للفظ ما دام السياق يحتمله والمعنى ينجلى به . ودون أن يحمل شططا أو تفسيرا منكرا .

– ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن من " ريب " فهو شك ، غير حرف واحد ، وهو قوله تعالى (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) [١١٩] فإنه يعنى حوادث الدهر" [١٢٠].

– وفى مجمل اللغة [١٢١] : الريب : الشك . والريب ما رابك من أمر . تقول رابنى هذا الأمر ، إذا أدخل عليك شكا وخوفا . وأراب الرجل : صار ذا ريبة . ورابنى أمره . وريب الدهر : صروفه . والريب الحاجة . قال [١٢٢]

قَضَينَا من تِهَامَةَ كلَّ رَيْبٍ بِمَكَّةَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السيوفا

وفى الكليات [١٢٣] " الريب ما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوع ظهور . ويقال : شك مريب ولا يقال ريب مشكك . ويقال أيضا : رابنى أمر كذا ، ولا يقال : شكنى .

والشك سبب الريب كأنه شك أوّلاً فيوقعه شكه فى الريب ، فالشك مبدأ الريب ، كما أن العلم مبدأ اليقين . والريب قد يجئ بمعنى القلق والاضطراب . والحديث " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة . ومنه (ريب الدهر) لنوائبه ، فيوصف به الشك كما فى قوله تعالى : (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) [١٢٤] ".

– وبالعودة إلى التنزيل الكريم نلحظ الآتى :

كلمة (ريب) غير مسبوقة بنفى وردت فى الآيات الآتية :

فى قوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) ٢٣ سورة البقرة .

وقوله تعالى : (فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ) من الآية ٥ الحج .

وقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) الطور ٣٠ .

وقوله تعالى : (فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) ٤٥ التوبة .

وقوله تعالى : (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) ١١٠ التوبة .

وجاءت مسبوقة بنفى فى سياق (الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) فى الآيات : (٢– سورة البقرة) ، (٣٧ سورة يونس) ، (٢ سورة السجدة) .

وفى سياق (يوم القيامة لا ريب فيه) فى الآيات : (٩ ، ٢٥ سورة آل عمران) ، (٨٧ سورة النساء) ، (١٢ سورة الأنعام) ، (٧ سورة الشورى) ، (٢٧ سورة الجاثية)

وفى سياق (الساعة لا ريب فيها) فى الآيات : (٢١ سورة الكهف) ، (٧ سورة الحج) ، (٥٩ سورة غافر) ، (٣٢ سورة الجاثية)

– وجاء الفعل من الارتياب (٦ مرات) بصيغة الماضى فى الآيات : (٤٨ العنكبوت) ، (٤٥ التوبة) ، (٥٠ النور) ، (١٠٦ المائدة) ، (١٤ – الحديد) ، (٤– الطلاق) .

وثلاث مرات بصيغة الفعل المضارع فى الآيات (٢٨٢ سورة البقرة) ، (٣١– المدثر) ، (١٥– الحجرات) .

وجاء منه اسم الفاعل (مرتاب) مرة واحدة فى الآية (٣٤ غافر)

و (مريب) سبع مرات فى الآيات : (٦٢ ، ١١٠ هود) ، (٩– إبراهيم) ، (٥٤– سبأ) ، (٤٥– فصلت) ، (١٤– الشورى) ، (٢٥– ق)

– ذهب ابن فارس إلى القول إن كل شئ فى القرآن من (ريب) هو شك . غير واحد ، وهو آية سورة الطور (٣٠) . وهو ما نناقشه فيما يلى :

أما فيما يتصل بآية سورة الطور فقد جاء فى تأويلها : " أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون " أى قوارع الدهر . والمنون : الموت ، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه " [١٢٥] . وفى البحر المحيط " تربصوا به ريب المنون فإنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى " [١٢٦] .

وفى تفسير القرطبى : (عن مجاهد أى : حوادث الدهر) [١٢٧] . وفى الكليات : (ريب المنون : أوجاعه) [١٢٨] .

وإذا ما عدنا إلى الآيات الأخريات التى ذكر فيها (الريب) على ما سبق أن قدمناه هنا وجدنا أن جمهور المفسرين على أن الريب يعنى الشك فى معظم هذه الآيات إلا فى آية سورة الطور التى عرضت لتأويلها هنا . وما تأولوه فى آية أخرى وهى الآية (١١٠) من سورة التوبة (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) حيث ذكر القرطبى فى تأويلها " ريبة : معنى حسرة فى قلوبهم . كما قال الكلبى ، لأنهم ندموا على بنيانه ، وقال ابن عباس وقتادة والضحاك : أى شكاً فى قلوبهم ونفاقاً " [١٢٩].

وفيها يقول أبو حيان : " لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم " قال ابن عباس لا يزالون شاكين . وقال حبيب بن أبى ثابت غيظا فى قلوبهم أى سبب غيظ . وقيل كفرا فى قلوبهم . وقال عطاء نفاقا فى قلوبهم . وقال ابن جبير أسفا وندامة . وقال ابن السائب ومقاتل حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنيانه . وقال قتادة : حزازة وغيظا فى قلوبهم وفسرها السدى بالكفر ويحتمل أن يكون المعنى لا يزالون مريبين بسبب بنيانهم الذى اتضح فيه نفاقهم وجملة هذا أن الريبة فى الآية تعم معانى كثيرة [١٣٠] .

وإذا كان جمهور المفسرين على تفسير الريب بالشك فإننا لا نستطيع أن نسايرهم فيما ذهبوا إليه فالريب ليس هو الشك وهذه التفرقة تعتمد على أسباب منها ما يعتمد على التفرقة الدلالية بين الشك والريب . وقد سبق وذكرنا ما جاء فى الكليات من كون الريب: ما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوع من الظهور ثم أضاف ويقال : شك مريب ولا يقال ريب مشكك وهو دليل واضح أنهما لا يترادفان وإلا جاز تبادلهما دون فرق . كذلك القول إن الشك (سبب) الريب والسبب فى الشئ غير الشئ نفسه .

أما السبب الأهم هنا فهو الأداء القرآنى فى الآيات الكريمة حيث نلحظ مجئ الريب وصفاً للشك فى ست آيات وهو ما يشير إلى اختلاف المعنى بين اللفظين حتى لا يكون من قبيل وصف الشئ بنفسه . وهو ما نحاول أن نستشفه فيما يلى من أقوال المفسرين فى تأويل مثل هذا التركيب (شك مريب) وجدنا الآتى :

يقول الفخر الرازى فى تأويل قوله تعالى الآية (٦٢ هود) (إِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ). والشك هو أن يبقى الإنسان متوقفا بين النفى والإثبات . والمريب : هو الذى يظن به السوء فقوله : (وإننا لفى شك) يعنى به أنه لم يترجح فى اعتقادهم صحة قوله وقوله " مريب " يعنى أن ترجح فى اعتقادهم فساد قوله ، وهذا مبالغة فى تزييف كلامه " (١٣١) .

وفى البحر المحيط " ومريب اسم فاعل من متعد أرابه أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من لازم أراب الرجل إذا كان ذا ريبة وأسند ذلك إلى الشك إسنادا مجازيا ووجود مثل هذا الشك كوجود التصميم على الكفر " (١٣٢) .

وذهب الزمخشرى فى تأويل الآية الكريمة إلى القول (مريب من أرابه إذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس ، وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة . على الإسناد المجازى) (١٣٣) .

وفى عمدة التفسير " أى شك كثير " (١٣٤) .

ويقول صاحب الفروق اللغوية "الشك استواء طرفى التجويز"(١٣٥) . و "الارتياب شك مع تهمة " (١٣٦). فالشك ليس الريب . ونستطيع مما تقدم أن نقرر أن اللفظ القرآنى له من الخصوصية ما يستدعى معها الحرص الشديد حال التعرض له أو محاولة تأويله . فلكل لفظ معنى فى سياقه الذى يوجد فيه وبصيغته التى جاء عليها قد يتماس مع غيره بدرجة يسيرة أو بدرجة كبيرة دلاليا ولكنه يبقى مع هذا متفردا بدلالته الخاصة ولو بملح دلالى واحد هو الذى سوغ له هذا الوجود وهذا الأثر وهذا الاستعمال والذى لا يغنى غيره مغناه على أى حال كان .

ولعلنا هنا أن نتذكر بعضا من معانى (الريب) التى وردت فى الآيات القرآنية على ما سبق أن عرضنا له فيما تقدم والتى كان منها : الشك وحوادث الدهر ، وأوجاعه ، والحسرة والغيظ والكفر والندامة والأسف والنفاق . وهو ما ننتهى معه إلى تقرير أن مقولة أن كل ما جاء فى القرآن من (ريب) فهو شك غير حرف واحد إنما هو قول قد جاوز الدقة والصواب معاً .

ويقول ابن فارس : وكل شئ فى القرآن : "يرجمنكم " و " يرجموكم " فهو القتل ، غير التى فى سورة مريم عليها السلام : (لأَرْجُمَنَّكَ) (١٣٧) يعنى لأشتمنك .

قلت : وقوله : (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) (١٣٨) أى ظنا والرجم أيضا : الطرد واللعن ، ومنه قيل للشيطان: رجيم (١٣٩) .

ذكر ابن فارس من معانى الرجم : القتل والشتم واستدرك عليه الزركشى فى قوله : إن من معانى الرجم كذلك الظن ، والطرد واللعن . وهو ما نعرض له الآن :

١- الرجم بمعنى القتل، ومنه قوله تعالى فى سورة يس: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) [١٤٠] وفى تأويلها يقول الفخر الرازى : " يحتمل وجهين أحدهما . لنشتمنكم من الرجم بالقول وثانيهما : أن يكون المراد بالرجم بالحجارة وحينئذ فقوله (وليمسنكم) بيان للرجم. يعنى ولا يكون الرجم رجما قليلا بل نديم ذلك عليكم إلى الموت وهو عذاب أليم [١٤١] .

ومنه قوله تعالى (وَلَوْلَا رَهْطُك لَرَجَمْنَاكَ) [١٤٢] وفى تأويلها يقول الفخر الرازى فى الآية وجهان الأول : لرجمناك : لقتلناك . الثانى : لشتمناك وطردناك [١٤٣] .

٢- الرجم بمعنى الشتم : ومنه قوله تعالى (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنك) [١٤٤] .

وجاء فى تأويل الآية الكريمة : فى الرجم هاهنا قولان : الأول أنه الرجم باللسان ، وهو الشتم والذم ، ومنه قوله (الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) النور ٤- أى بالشتم ، ومنه الرجيم ، أى المرمى باللعن . قال مجاهد : الرجم فى القرآن كله بمعنى الشتم .

والثانى : أنه الرجم باليد [١٤٥]. وفى الكشاف لأرجمنك : لأرمينك بلسانى يريد الشتم والذم [١٤٦].

٣- الرجم بمعنى الرمى بعينه . ومن قوله تعالى : (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ) [١٤٧] .

وجاء فى تأويلها : " يعنى : الكواكب رميا للشياطين يُرْمَون بها وذكروا فى معرض الآية أن الشياطين إذا أرادوا استراق السمع رجموا بها [١٤٨] .

٤- الرجم بمعنى الظن: ومنه قوله تعالى (وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ) [١٤٩] .

(رجما بالغيب) أى : قول بلا علم ، كما يرمى إلى مكان لا يعرفه ، فإنه لا يكاد يصيب ، وإن أصاب فبلا قصد [١٥٠] .

٥- الرجم بمعنى الطرد واللعن : ومنه قوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [١٥١] . (الرجيم) يعنى الملعون .

ويتبين مما سبق أن معانى الرجم لم تقتصر على معنى القتل والشتم وحدهما كما ذهب إلى ذلك ابن فارس وهو ما دفع الزركشى إلى الاستدراك عليه وهو ما أكدناه بما عرضناه من الآيات الكريمات المتضمنة لمادة (الرجم) والتى دلت إلى جانب معنى القتل والشتم معانى : الظن – والطرد واللعن والرمى نفسه . والله أعلم

ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن من " زور " فهو الكذب ؛ ويراد به الشرك ، غير التى فى المجادلة : (مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) [١٥٢] فإنه كذب غير شرك" [١٥٣] .

ورد لفظ الزور إلى جانب الآية السابقة فى الآيات الآتية :

قوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (١٥٤) . وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) (١٥٥) ، وقوله تعالى : (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً) (١٥٦) .

وفى تأويل آية سورة الحج ذكر الفخر الرازى : الزور من الزور والازورار وهو الانحراف .

والمفسرون ذكروا فى قول الزور وجوها : أحدها : أنه قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم . وثانيها : شهادة الزور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال : (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله) وتلا هذه الآية .

وثالثها : الكذب والبهتان . ورابعها : قول أهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك (١٥٧) .

وفى الكشاف جاء قوله : لما حث على تعظيم حرماته وأحمد مَنْ يعظمها اتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور ... وجمع الشرك وقول الزور فى قِران واحد ، وذلك أن الشرك من باب الزور ، لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال : فاجتنبوا عبادة الأوثان التى هى رأس الزور . واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه فى القبح والسماجة (١٥٨) .

وفى الآية ٧٣ سورة الفرقان : " والذين لا يشهدون الزور " مما جاء فى تأويلها : يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لأن مشاهدة الباطل شركة فيه ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . وعن قتادة : مجالس الباطل .

وعن ابن الحنفية : اللهو والغناء . وعن مجاهد : أعياد المشركين (١٥٩) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : المراد مجالس الزور التى يقولون فيها الزور على الله تعالى وعلى رسوله .

وقال محمد ابن الحنفية : الزور الغناء . واعلم أن كل هذه الوجوه محتملة لكن استعماله فى الكذب أكثر (١٦٠) .

وفى تأويل الآية (٤) الفرقان (فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً) "أى أتوا ظلما وكذبا وهو كقوله : (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً) مريم ٨٩ ... والله تعالى وصف كلامهم بأنه ظلم وبأنه زور أما إنه ظلم فلأنهم نسبوا هذا الفعل القبيح إلى من كان مبرأ عنه ، فقد وضعوا الشئ فى غير موضعه ، وذلك هو الظلم ، وأما الزور فلأنهم كذبوا فيه ، وقال أبو مسلم : الظلم تكذيبهم الرسول والرد عليه ، والزور كذبهم عليهم" (١٦١) . وفى الكشاف " الزور أن بهتوه بنسبة ما هو برئ منه إليه " (١٦٢)

نلحظ فى تأويل هذه المعانى أن دلالة الزور لم تنحصر فى الكذب الذى يراد به الشرك فهذه الدلالة واحدة من دلالات أخريات منها : إقامة الشهادة الباطلة – الكذب والبهتان والانحراف ومجالس الباطل واللهو والغناء وأعياد المشركين . وهو ما أقر به الفخر الرازى فى قوله : " واعلم أن كل هذه الوجوه محتملة ولكن استعماله فى الكذب أكثر " [١٦٣] .

وإذا تحولنا إلى الآية (٢) سورة المجادلة (مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) يقول الزمخشرى :

(وزورا : وكذبا باطلا منحرفا عن الحق) [١٦٤] . و " لأن الأم محرمة تحريما مؤبدا ، والزوجة لا تحرم بهذا القول تحريما مؤبدا ، فلا جرم كان ذلك منكرا من القول وزورا" [١٦٥] .

وفى البحر المحيط " وزور كذب باطل منحرف عن الحق وهو محرم تحريم المكروهات جدا" [١٦٦] وفى عمدة التفسير : أى : "كلاما فاحشاً باطلا" [١٦٧] .

وواضح أن معنى الزور هنا هو الكذب الصريح والقول الباطل الفاحش فهو كذب على الحقيقة لا تعريض بدلالة أخرى بخلاف ما رأيناه من دلالة لفظ الزور فى سياق الآيات الكريمات التى عرضناها سابقا .

ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن من "زكاة" فهو المال ، غير التى فى سورة مريم : (وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً) [١٦٨] ؛ فإنه يعنى (تعطفا)" [١٦٩]

– الزكاة لدى ابن فارس لها دلالتان (المال) وهى كل ما فى القرآن من (زكاة) إلا حالة واحدة وهى آية سورة مريم بمعنى (تعطفا) .

ولنتحقق من دقة هذا الحكم نبدأ فى عرض ما جاء فى تأويل لفظ (الزكاة) فى آى الذكر الحكيم .

ولنبدأ بالوجه المخالف للمجموع على ما ذهب إليه ابن فارس وهو آية سورة مريم .

وفى تأويلها يقول الزمخشرى : (الزكاة : الطهارة ، وقيل الصدقة ، أى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم) [١٧٠] وفى عمدة التفسير جاء قوله : ("وزكاة" فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب) [١٧١] . وذهب الفخر الرازى فى تأويل الآية الكريمة على القول: ("وزكاة" وفيه وجوه أحدها : أن المراد : وآتيناه زكاة ، أى عملا صالحا زكيا ، عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج . وثانيها : زكاة لمن قبل منه حتى يكونوا أزكياء ، عن الحسن . وثالثها : زكيناه بحسن الثناء كما تزكى الشهود الإنسان ورابعها : صدقة تصدق الله بها على أبويه عن الكلبى . وخامسها: بركة ونماء وهو الذى قال عيسى عليه السلام (وجعلنى مباركا أينما كنت) مريم ٣١.

واعلم أن هذا يدل على أن فعل العبد خلق لله تعالى ، لأنه جعل طهارته وزكاته من الله تعالى ، وحمله على الألطاف بعيد لأنه عدول عن الظاهر) [١٧٢] .

– وهنا نلحظ أن دلالة (زكاة) فى سياق الآية الكريمة احتمل دلالات متعددة تمثلت فى : العمل الصالح – حسن الثناء – صدقة من الله على أبويه – الطهارة من الدنس والآثام والذنوب وكلها مما لم يشر إليها ابن فارس حين ذكر أنها وحيدة فى الذكر الحكيم ودلالتها (تعطفا) .

وإذا ما تحولنا إلى لفظ (زكاة) الوارد فى الآيات الكريمة والتى ذكر ابن فارس إنها جميعا باستثناء ما تقدم ذكره بمعنى (المال) نستطيع هنا أيضا أن نتحقق من دقة هذا الحصر لدلالة الزكاة فى (المال) وحده .

– أما الزكاة بمعنى المال فقد ورد منها حقا آيات كثيرة بهذه الدلالة ، ومن ذلك قوله تعالى : (وآتوا الزكاة) [١٧٣] . ومثلها (والمؤتون الزكاة) [١٧٤] . بمعنى الزكاة المفروضة . وأشباههما كثير .

– ولكن إلى جانب هذه الدلالة نجد دلالات أخرى منها قوله تعالى (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) [١٧٥] . ذهب القرطبى فى تأويلها إلى القول : (لا يؤتون الزكاة " يعنى لا يقولون لا إله إلا الله . قال ابن عباس لا يشهدون أن لا إله إلا الله وهى زكاة الأنفس وقال الضحاك ومقاتل: لا يتصدقون ولا ينفقون فى طاعة) [١٧٦] .

وفى التفسير الكبير : (لا يؤتون الزكاة) : أى لا يزكون أنفسهم من لوث الشرك بقولهم لا إله إلا الله) [١٧٧]. ومنها بمعنى (لا إله إلا الله) أيضا قوله تعالى : (ومَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى) [١٧٨] . أى لا يوحِّد . يقول الفخر الرازى : (المعنى لا شئ عليك فى أن لا يسلم مَنْ تدعوه إلى الإسلام ، فإنه ليس عليك إلا البلاغ ، أى لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم إلى أن تعرض عمن أسلم للاشتغال بدعوتهم) [١٧٩] . وهنا نلحظ أن المقصود بالزكاة هنا هو قول لا إله إلا الله .

– وفى قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم) [١٨٠] يزكون أى يُبرِّئون ، ومثله : (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) [١٨١] . (أى ولا يبرئهم . وقال الزجاج لا يثنى عليهم خيرا ولا يسميهم أزكياء . والتزكية : التطهير والتبرية من الذنوب) [١٨٢] . وفى التفسير الكبير : (التزكية) فى هذا الموضع عبارة عن مدح الإنسان نفسه) [١٨٣] .وفى عمدة التفسير (قيل نزلت فى ذم التمادح والتزكية) [١٨٤] . وجاء كذلك فى تأويل قوله تعالى : (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) [١٨٥] . وفيه وجوه : الأول : لا ينسبهم إلى التزكية ولا يثنى عليهم . الثانى: لا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال الأزكياء . الثالث : لا ينزلهم منازل الأزكياء) [١٨٦] ، وأضاف :

(ولا يزكيهم) ، أى لا يثنى عليهم كما يثنى على أوليائه الأزكياء والتزكية من المزكى للشاهد مدح منه له) [١٨٧] . والدلالة المقصودة هنا هى المدح والتطهير والتبرئة من الذنوب .

– وفى قوله تعالى : (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً) [١٨٨]. وفى تأويلها : (قال ابن عباس : يريد ما حَلَّ من الذبائح ؛ لأن عامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون إيمانهم . وقال مجاهد كان ملكهم ظالما . فقولهم : (أزكى طعاما) يريدون أيها أبعد عن الغصب ، وقيل أيها أطيب وألذ ، وقيل أيها أرخص) [١٨٩] . والمعنى المقصود فى هذا السياق هو (ما حل من الطعام) .وما طاب ولذ ، وتنزه عن الغصب . أو ما كان رخيصا .

– وفى قوله تعالى: (ومَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ) [١٩٠] وقوله تعالى : (وَتُزَكِّيهِم بِهَا) [١٩١] وفى تأويل الآية الأولى يقول الفخر الرازى : (" ومن تزكى" أى فتزكيته لنفسه) [١٩٢]

وفى تأويل آية التوبة يقول : (واعلم أن التزكية لما كانت معطوفة على التطهير وجب حصول المغايرة ، فقيل : التزكية مبالغة فى التطهير . وقيل التزكية بمعنى الإنماء ، والمعنى أنه تعالى يجعل النقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزكاة سببا للإنماء ، وقيل الصدقة تطهرهم عن نجاسة الذنب والمعصية . والرسول صلى الله عليه وسلم يزكيهم ويعظم شأنهم ويثنى عليهم عند إخراجها إلى الفقراء) [١٩٣] .

وفى عمدة التفسير فى تأويل آية فاطر (١٨) (ومَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ) أى ومن عمل صالحا فإنما يعود نفعه على نفسه) [١٩٤] . وفى تأويل الآية يقول أبو حيان : (أى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى فإنما ثمرة ذلك عائدة عليه وهو إنما زكاته لنفسه لا لغيره . والتزكى شامل للخشية وإقامة الصلاة) [١٩٥] . والمعنى المراد فى هذه الآيات أى الإصلاح وفعل الطاعات والتنزه عن المعاصى .

– وفى قوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) [١٩٦] . يقول صاحب عمدة التفسير : (وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ، ويتلو هذه الآية (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) [١٩٧] والمعنى المشار إليه هنا أن الزكاة يقصد بها صدقة الفطر .

نخلص إلى أن معنى الزكاة إضافة إلى معنى المال أو الفريضة المفروضة كان لها دلالات أخريات منها : قول لا إله إلا الله ، والتطهر والتبرئة من الذنوب ؛ والمدح والثناء ، وما حل من الطعام ، والعمل الصالح وفعل الطاعات والتنزه عن المعاصى ، وصدقة الفطر وكلها معان لا يجوز إغفالها أو إهمالها . فلكل منها أثره وغايته وبخاصة لارتباطها بالنص المقدس الذى لا يتفق مع قداسته ومنزلته أن نتعامل مع مفرداته بهذا الإجحاف وهذا التقصير.

– ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن من " زاغوا" ولا " تزغ" فإنه من " مالوا " ولا "تمل" غير واحد فى سورة الأحزاب : (وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ) [١٩٨] .بمعنى شخصت " [١٩٩] .

– جاء فى تأويل قوله تعالى : (وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ) " قول الفراء " زاغت عن كل شئ فلم تلتفت إلا إلى عدوها) [٢٠٠] .

وذكر فيها الفخر الرازى (أى مالت عن سننها فلم تلتفت إلى العدو لكثرته) [٢٠١] .

وفيها يقول الزمخشرى . (مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا ، وقيل عدلت . عن كل شئ فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع) [٢٠٢] .

– والمعنى فى الآية لا ينتفى فيه معنى الميل بل أضيف إلى الميل حالة الحيرة والشخوص إلى العدو لشدة الروع والفزع .

– أما ما جاء من الآيات القرآنية الأخرى فنجد فيها الزيغ بمعنى الميل كما فى قوله تعلى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) آل عمران ٧.

وقوله تعالى (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) آل عمران ٨

وقوله تعالى (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) التوبة ١١٧ .

وقوله تعالى (وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) سبأ ١٢ .

وقوله تعالى (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) النجم ١٧ .

أما قوله تعالى (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) الصف ٥ . فقد جاء معنى الزيغ بدلالة الضلال. يقول الفخر الرازى : (فلما زاغوا) أى مالوا إلى غير الحق (أزاغ الله قلوبهم) أى أمالها عن الحق ، وهو قول ابن عباس . وقال مقاتل : (زاغوا) أى عدلوا عن الحق بأبدانهم (أزاغ الله) أى أمال الله قلوبهم عن الحق وأضلهم جزاء ما عملوا) [٢٠٣] . ومثله ما أورده القرطبى فى قوله (أى مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) ، أى أمالها عن الهدى . وقيل : أى لما تركوا ما أمروا به من احترام الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة الرب ، خلق الله الضلالة فى قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم) [٢٠٤] . وهكذا يكون الزيغ قد جاء حاملا دلالات الميل – والحيرة والإشخاص والضلال .

– ويقول ابن فارس : (وكل شئ فى القرآن من (يَسْخَرون) و (سخرنا) فإنه يراد به الاستهزاء، غير التى فى سورة الزخرف : (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) [٢٠٥] ، فإنه أراد أعوانا وخدما) [٢٠٦]

جاء فى تأويل آية الزخرف " قيل : معناه : ليسخر بعضهم بعضا فى الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، قاله السدى وغيره . وقال قتادة ، والضحاك : ليملك بعضهم بعضها " [٢٠٧]

ومما جاء من مادة (سخر) فى القرآن الكريم نجد . (سخر – سخروا) بصيغة الماضى فى الآيات (٧٩) التوبة ، (١٠) الأنعام ، (٣٨) هود ، (٤١) الأنبياء .

وبصيغة المضارع فى (٣٨) هود ، (١١) الحجرات ، (٢١٢) البقرة ، (٧٩) التوبة ، (١٢ ، ١٤) الصافات . و (الساخرين) فى (٥٦) الزمر ، و (سخريا) فى (١٠) المؤمنون ، (٦٣) ص .

والمعنى الجامع للفظ فى سياقاته المختلفة هو معنى الاستهزاء باستثناء آية سورة الزخرف على ما سبقت الإشارة إليه . وهو ما لا خلاف فيه .

– ويقول ابن فارس : (وكل سكينة فى القرآن طمأنينة فى القلب ، غير واحد فى سورة البقرة: (فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) [٢٠٨] ،فإنه يعنى شيئا كرأس الهرة لها جناحان كانت فى التابوت) [٢٠٩]

– ورد لفظ (سكينة) فى الآيات الآتية :

– فى قوله تعالى (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) (٢٤٨) البقرة .

وقوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً) (٤) الفتح

وقوله تعالى (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (١٨) الفتح وورد " سكينته " فى قوله تعالى (ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (٢٦) التوبة

وقوله تعالى (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) (٤٠) التوبة .

وقوله تعالى (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (٢٦) الفتح

ودلالة اللفظ فى الآيات الكريمة بمعنى طمأنينة فى القلب على ما ذهب إليه ابن فارس وكذا آية سورة البقرة (٢٤٨) لم يختلف تأويل ابن فارس لها عما نجده فى كتب التفسير ومنها ما ذهب إليه الزمخشرى فى قوله : " السكينة : السكون والطمأنينة . وقيل هى صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن ، فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه ، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر . وعن على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفهافة " [٢١٠] .

وزاد الفخر الرازى إلى ما تقدم قوله " عن عمرو بن عبيد : إن السكينة التى كانت فى التابوت شئ لا يعلم . واعلم أن السكينة عبارة عن الثبات والأمن ، وهو كقوله فى قصة الغار : (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) الفتح ٢٦ ، فكذا قوله تعالى : (فيه سكينة من ربكم) معناه : الأمن والسكون " [٢١١] . وعلى هذا يمكن أن يُحمل تأويل (السكينة) فى سورة البقرة أيضا على أصل معناه وهو طمأنينة القلب والأمن والسكون بل لعله الأولى والله أعلم .

– ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن من ذكر " السعير " فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) [٢١٢] ، فإنه العناد " [٢١٣] .

– وردت لفظة السعير فى القرآن الكريم معرفة (بأل) ثمانى مرات فى الآيات: (٤) الحج، (٢١) ، لقمان ، (١٢) سبأ ، (٦) فاطر ، (٧) الشورى ، (٥ ، ١٠، ١١) الملك ، ووردت (سعيرا) هى الأخرى ثمانى مرات فى الآيات : (١٠ ، ٥٥ النساء) ، (٩٧) الإسراء ، و (١١) الفرقان ، (٦٤) الأحزاب ، (١٣) الفتح ، (٤) الإنسان ، (١٢) الإنشقاق ، ووردت (سُعُر) مرتين فى قوله تعالى : " فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسُعُر" (٢٤) القمر . وقوله تعالى :(إن المجرمين فى ضلال وسُعُر) (٤٧) القمر .

– الآيات التى اشتملت لفظ (السعير) ، (وسعيرا) ذات دلالة واضحة على النار والوقود . أما آيتى سورة القمر فيجمل بنا أن نراجع أقوال المفسرين فيها حتى نقف على مدلولها ، وهل جاء موافقا لما ذهب إليه ابن فارس أم خالفه ؟ .

– فى تأويل قوله تعالى (إنا إذا لفى ضلال وسُعُر) يقول الزمخشرى : (وسُعُر : ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا : إن اتبعناك كنا إذن كما تقول . وقيل الضلال : الخطأ والبعد عن الصواب ، والسعر : الجنون" [٢١٤] . وفى تأويل الآية نفسها يقول صاحب التفسير الكبير : " فى ضلال وسعر أى جنون على هذا الوجه ، فإن قلنا : إن ذلك قالوه على سبيل الجواب فيكون القائل قال لهم : إن لم تتبعوه فإنا إذا فى الحال فى ضلال وفى سعر فى العقبى فقالوا : لا بل لو اتبعناه فإنا إذا فى الحال فى ضلال وفى سُعُر من الذل والعبودية مجازا فإنهم ما كانوا يعترفون بالسعير ... وإذا كان السعير فى الآخرة واحداً فكيف جمع ؟ الجواب عنه من وجوه : أحدها : فى جهنم دركات يحتمل أن تكون كل واحدة سعيرا أو فيها سعير . ثانيها : لدوام العذاب عليهم فإنه كلما نضجت جلودهم يبدلهم جلودا كأنهم فى كل زمان فى سعير آخر وعذاب آخر .

ثالثها : لسعة السعير الواحد كأنها سعر يقال للرجل الواحد : فلان ليس برجل واحد بل هو رجال " [٢١٥].

وفى تأويل قوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) يقول الفخر الرازى : " يحتمل وجوها ثلاثة أحدها : الجمع بين الأمرين فى الدنيا أى هم فى الدنيا فى ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون . ثانيها : الجمع فى الآخرة أى هم فى ضلال الآخرة وسعر أيضا . أما السعر فكونهم فيها ظاهر ، وأما الضلال فلا يجدون إلى مقصدهم أو إلى ما يصلح مقصدا وهم متحيرون سبيلا " [٢١٦]

وفيها يقول الزمخشرى : (فى ضلال وسعر) فى هلاك ونيران ، أو فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة " (٢١٧) . وفيها يقول أبو حيان " وسعر أى عذاب ، قاله ابن عباس وعنه : وجنون يقال ناقة مسعورة إذا كانت تفرط فى سيرها كأنها مجنونة ... وقال قتادة وسعر عناء. وقال ابن بحر وسعر جمع سعير وهو وقود النار أى فى خطر كمن هو فى النار " (٢١٨) . وجاء فى عمدة التفسير قوله : يخبر الله تعالى عن المجرمين أنهم فى ضلال عن الحق ، وسُعُر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب فى الآراء ، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق " (٢١٩) .

نخلص مما سبق إلى أن سُعُر جاءت فى معان متعددة منها : الجنون – سعر الذل والعبودية – العذاب – العناء – وقود النار – الخطر – سعر الشكوك والاضطراب فى الآراء – وأخيرا جمعا لسعير . ومن اللافت أن جمهور المفسرين الذين راجعنا كتبهم لم نجد من بينهم من ذكر أن سعرا بمعنى العناد . وربما حدث تحريف فى الكلمة فجاءت العناد بدلا من العناء وبخاصة أنهما متشابهتان إملائيا عدا الحرف الأخير فإن كانت العناء فهى من المعانى التى قال بها بعض المفسرين ، أما إن كانت العناد فهى مما لم يقل به أحد غير ابن فارس . وفى كل سيبقى ما جاء به ابن فارس قاصرا فى تناوله لمادة (سُعُر) كما وردت فى القرآن الكريم قصورا بينا .

– ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن من ذكر "الشيطان: فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله تعالى فى سورة البقرة: (وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) (٢٢٠) ؛ إنه يريد كهنتهم ؛ مثل كعب بن الأشرف وحُيَىّ بن أخطب وأبى ياسر أخيه " (٢٢١) .

– جاء فى تأويل الآية (١٤) سورة البقرة " ومعناه : إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك ، وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم " (٢٢٢) . وجاء فى عمدة التفسير " وإذا انصرفوا وذهبوا إلى (شياطينهم) من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول قاله ابن عباس . وقال مجاهد : (شياطينهم) أصحابهم من المنافقين والمشركين . قال ابن جرير " وشياطين كل شئ : مردته ، وتكون الشياطين من الإنس والجن " (٢٢٣) . وفى البحر المحيط " و الشيطان كل متمرد من الجن والإنس والدواب قاله ابن عباس وأنثاه شيطانة " (٢٢٤) .

وفيها يقول الطبرى " عن ابن عباس إذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول قالوا إنا معكم . أما شياطينهم فهم رءوسهم فى الكفر وعن مجاهد إذا خلوا إلى شياطينهم قال أصحابهم من المنافقين والمشركين " (٢٢٥) .

– وغير الدلالتين اللتين أشار إليهما ابن فارس نجد هناك دلالات أخرى للفظ (الشيطان) وذلك على نحو ما نراه فى قوله تعالى (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) (٢٢٦). ذهب الفراء فى تأويلها إلى القول : (كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) فإن فيه فى العربية ثلاثة أوجه . أحدها أن تشبِّه طَلْعها فى قبحه برءوس الشياطين ؛ لأنها موصوفة بالقبح ، وإن كانت لا تُرى . وأنت قائل للرجل : كأنه شيطان إذا استقبحته " والآخر أن العرب تسمّى بعض الحيات شيطانا . وهو حية ذو عُرْف (٢٢٧) . ويقال إنه نبت قبيح يسمى برءوس الشياطين . والأوجه الثلاثة تذهب إلى معنى واحد فى القبح" (٢٢٨) . فهنا (الشيطان) إما حَيّة وإما نبات على ما ذهب إليه الفراء فيما نقله عن العرب.

– وفى قوله تعالى (شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) (٢٢٩). يقول الطبرى " شياطين الإنس والجن مردتهم" (٢٣٠) وفى عمدة التفسير جاء قوله :"الشياطين كل من خرج عن نظيره بالشر" (٢٣١) .

أما صاحب البحر المحيط فيقول " (والشيطان هو المتمرد من الصنفين . وقال مالك بن دينار شيطان الإنس علىّ أشد من شيطان الجن لأنى إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئنى ويجرنى إلى المعاصى عيانا . وقال عطاء أما أعداء النبى صلى الله عليه وسلم من شياطين الإنس فالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو جهل بن هشام والعاصى بن عمرو وزمعة بن الأسود ..." (٢٣٢) .

ويمكن مما تقدم أن يكون من دلالات لفظ الشيطان رءوس الكفر أو الطغاة والمستكبرين وأشياعهم.

وهكذا يكون لفظ الشيطان من دلالاته إلى جانب إبليس وذريته وجنوده ، والكهنة يمكن أن يكون دالا على نوع من الحيات أو النبات أو الطغاة ورءوس الكفر ، والله أعلم .

– ويقول ابن فارس : " وكل شهيد " فى القرآن غير القتلى فى الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس .. إلا التى فى سورة البقرة قوله عزّ وجل : (وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم) (٢٣٣) ، فإنه يريد شركاءكم " (٢٣٤) .

– القتلى فى الغزو – الذين يشهدون على أمور الناس – (الشركاء) . هذه هى معانى "شهيد" من وجهة نظر ابن فارس وهو ما نحاول استقراءه من خلال النظر فى الآيات القرآنية التى تضمنت لفظ (شهيد) ولكن معناها جاء دالا على غير هذه الدلالات الثلاث : ومن ذلك قوله تعالى : (وجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) (٢٣٥) .

قال الزمخشرى (سائق وشهيد) مَلَكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ، أو مَلَك واحد جامع بين الأمرين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها " (٢٣٦) .

ومثله قوله تعالى (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) [٢٣٧] . وفى تأويلها ذكر الزمخشرى (والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليهم من الحفظة والأخيار) [٢٣٨] . ونلحظ أن معنى (شهيد) (والشهداء) فى هذا السياق : المَلَك من الحفظة والكرام الكاتبين .

– ومن المعانى الأخرى لمعنى (شهيد) : الشهيد بمعنى النبى . ومن ذلك قوله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً) [٢٣٩] .

يقول الزمخشرى: (بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم . كقوله "وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ" المائدة ١١٧ – "وجئنا بك على هؤلاء" المكذبين "شهيدا") [٢٤٠]

ومثل ذلك فى قوله تعالى : (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء) [٢٤١] . جاء فى تأويلها : (شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ) يعنى نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك " [٢٤٢].

– ومن معانى الشهيد كذلك ما جاء فى قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) [٢٤٣].

وقوله تعالى (وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) [٢٤٤] وفى تأويل آية البقرة يقول الزمخشرى : " لتكونوا شهداء على الناس " روى " أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء ، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم ، فيؤتى (بأمة محمد) صلى الله عليه وسلم فيشهدون " [٢٤٥] .

وفى آية الحج جاء فى تأويلها : " وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هى الأمة المرحومة الموسومة بذلك فى الكتب المتقدمة .... (وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) بأن الرسل قد بلغتهم . وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه " [٢٤٦] .

ومثل ذلك فى قوله تعالى : (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [٢٤٧] . يقول صاحب الكشاف : (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ): أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة " [٢٤٨] .

ويتضح مما سبق أن معنى الشهيد فى هذه الآيات يدل على " أمة " محمد صلى الله عليه وسلم .

– وبذلك نستطيع أن نقول إن من معانى (شهيد) الوارد ذكرها فى الآيات القرآنية – القتلى فى الغزو – الشهداء على أمور الناس – الشركاء و (النبى – الملائكة – أمة محمد صلى الله عليه وسلم) . وهذه الثلاثة الأخيرة مما فات ابن فارس الإشارة إليه .

– ويقول ابن فارس : " وكل ما فى القرآن من " أصحاب النار " فهم أهل النار إلا فى قوله : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) [٢٤٩]. فإنه يريد خزنتها " [٢٥٠] .

ولعل هذه من الحالات القليلة التى لا نرى فيها خلاف ما ذهب إليه ابن فارس .

– ويقول ابن فارس : (وكل صلاة) فى القرآن فهى عبادة ورحمة ، إلَّا قوله تعالى : (وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ) (٢٥١) . فإنه يريد بيوت عبادتهم " (٢٥٢).

فى قول ابن فارس كل " صلاة : فى القرآن فهى (عبادة ورحمة) نستنتج منها أنه ربما قصد بها الصلاة الفريضة المفروضة بحدودها وشروطها المعلومة أما رحمة فربما أراد بها مدلول الاستغفار أو الدعاء كما ورد فى بعض الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) (٢٥٣) . وفى تأويلها " أى ادع لهم واستغفر لهم " (٢٥٤) .

ومثله قوله تعالى (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) (٢٥٥) . أى (دعاء الرسول) (٢٥٦) .

– وجاءت (الصلاة) بمعنى الثناء كما فى قوله تعالى: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَات مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَة) (٢٥٧) . جاء فى عمدة التفسير " أى ثناء من الله عليهم " (٢٥٨) .

ومثله فى قوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) (٢٥٩). وجاء فى تأويلها : " الصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة ، حكاه البخارى عن أبى العالية. ورواه أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عنه . وقال غيره : الصلاة من الله : الرحمة . وقد يقال : لا منافاة بين القولين والله أعلم " (٢٦٠) .

ومنه أيضا قوله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبى) (٢٦١) . قال البخارى : قال أبو العالية : صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة : الدعاء : وقال ابن عباس : يصلون : يبِّركون . وروى عن سفيان الثورى وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب : (الرحمة) وصلاة الملائكة : الاستغفار) (٢٦٢) .

ونستطيع أن نجمل معنى الصلاة فى المعانى الآتية : الصلاة الفريضة المعلومة – الاستغفار – الرحمة – الدعاء – الثناء – بيوت العبادة والصلاة . وهنا أيضا يكون قد فات ابن فارس معنى الثناء .

– ويقول ابن فارس : (وكل " صمم " فى القرآن فهو عن الاستماع للإيمان غير واحد فى بنى إسرائيل ، قوله عز وجل : (عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) (٢٦٣) ، معناه لا يسمعون شيئا " (٢٦٤) .

ومفهوم كلام ابن فارس أن كل "الصمم" فى القرآن فهو عن الاستماع للإيمان أى إنه تعبير مجازى لا عن علة حقيقية فى آلة السمع لديهم بخلاف ما جاء فى آية سورة الإسراء فإنها على وجه الحقيقة فهم لا يسمعون شيئا . وهو ما نحاول أن نحققه فيما يأتى : فى آية الإسراء جاء فى تأويلها " عُمْياً " أى : لا يبصرون (و بُكمًا) يعنى : لا ينطقون (وصُمًّا) أى : لا يسمعون . وهذا يكون فى حال

دون حال جزاء لهم كما كانوا فى الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا فى محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه " [٢٦٥] .

وإذا ما تحولنا لننظر فى تأويل بعض الآيات الأخرى التى ورد فيها (الصمم) غير هذه الآية . نجد قوله تعالى : " صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون " [٢٦٦] . ذهب الفخر الرازى فى تأويلها إلى " اعلم أنه لما كان من حالهم أنهم كانوا يسمعون وينطقون ويبصرون وامتنع حمل ذلك على الحقيقة فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن ، وما يظهره الرسول من الأدلة والآيات بمن هو أصم فى الحقيقة فلا يسمع ، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب ، فلذلك جعله بمنزلة الأبكم ، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى " [٢٦٧]. وفى قوله تعالى : (صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) ١٧١ سورة البقرة. جاء قول الفخر الرازى " فاعلم أنه تعالى لما شبههم بالبهائم زاد فى تبكيتهم فقال : (صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ) ، لأنهم صاروا بمنزلة الصم فى أن الذى سمعوه كأنهم لم يسمعوه ، وبمنزلة البكم فى أن لا يستجيبوا لما دعوا إليه ، وبمنزلة العمى من حيث أنهم أعرضوا عن الدلائل فصاروا كأنهم لم يشاهدوها " [٢٦٨] .

وفى قوله تعالى (وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء) [٢٦٩] جاء فى تأويلها " فالله سبحانه وتعالى قطع محمداً صلى الله عليه وسلم عنهم بأن بيَّن له أنهم كالموتى وكالصم وكالعمى فلا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون ولا يلتفتون إلى شئ من الدلائل " [٢٧٠].

وواضح كما سبق وذكرنا أن التعبير القرآنى اعتمد على تشبيه كل من يعرض عن الحق ويصد عنه أنه كالأعمى والأصم والأبكم . وإن كانت حواسه فاعلة بلا علة أما ما جاء فى سورة الإسراء فهو محمول على الحقيقة . والله أعلم .

وبهذا يكون ابن فارس لم يخرج على ما اتفق عليه جمهور المفسرين .

– ويقول ابن فارس : " وكل "عذاب" فى القرآن فهو التعذيب إلا قوله عز وجل (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا) [٢٧١] . فإنه يريد الضرب " [٢٧٢].

ذكر ابن فارس أن معنى (عذاب) فى (كل) القرآن تمثل فى دلالتين هما التعذيب والضرب . على ما تقدم . ولكن استقراء الآيات القرآنية التى ورد فيها لفظ (عذاب) ربما ينبئ عن معان أخر وذلك على النحو الآتى :

– قال تعالى : (وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاء لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) [٢٧٣] . يقول الفخر الرازى فى تأويل الآية الكريمة " لعذبهم فى الدنيا " بالقتل كما فعل بإخوانهم بنى قريظة " [٢٧٤].

وهنا يكون معنى العذاب : القتل .

– وقال تعالى : (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) [٢٧٥].

وفى تأويلها جاء قول أبى حيان الأندلسى " وقال مكى أى لكفار قريش أعمال من الشر دون أعمال أهل البر لها عاملون إلى أن يأخذ الله أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب إذا هم يضجون ويستغيثون والمترفون المنعمون والرؤساء . والعذاب (القحط سبع سنين والجوع) حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد " [٢٧٦] .

ومما تقدم يكون من معانى العذاب أيضا : القحط سبع سنين والجوع .

– وقال تعالى (كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [٢٧٧].

جاء فى تأويلها : " كذلك العذاب : يعنى كما ذكرنا من إحراقها بالنار " [٢٧٨]

وفى عمدة التفسير : " كذلك العذاب . أى هكذا عذاب من خالف أمر الله ، وبخل بما أتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرا " [٢٧٩]. وبهذا يكون معنى العذاب هنا هو سلب النعمة وهلاك الأموال .

– وقال الله تعالى (لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) [٢٨٠] . جاء فى تأويل الآية الكريمة :" قال ابن عباس: إنه نتف الريش والإلقاء فى الشمس . وقيل : أن يطلى بالقطران ويشمس ، وقيل : أن يلقى للنمل فتأكله ، وقيل : إيداعه القفص ، وقيل التفريق بينه وبين إلفه ، وقيل : لألزمنه صحبة الأضداد ، وعن بعضهم : أضيق السجن معاشرة الأضداد ، وقيل : لألزمنه خدمة أقرانه " [٢٨١] .

وهكذا يتضح أن من معانى (العذاب) التى وردت فى التنزيل الكريم ما كان منها بمعنى : القتل – القحط سبع سنين والجوع – سلب النعمة وهلاك الأموال – نزع الريش والتشميس . وكل منها يحدد بسياقه الذى يختص بالدلالة المقصودة دون ما عداها .

– ويقول ابن فارس : " والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل فى البقرة : (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) [٢٨٢] . معناه " مقرّون " ، وكذلك فى سورة الروم : (وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) [٢٨٣] ، يعنى مقرون بالعبودية " [٢٨٤].

"قانتون" : مطيعون أو مقرّون وردت فى القرآن الكريم إلى جانب الآيتين السابقتين بصيغة اسم الفاعل الدال على المفرد أو الجمع على النحو الآتى :

فى قوله سبحانه تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) سورة الزمر ٩ .

وفى قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) سورة النحل ١٢٠ .

وقوله تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) سورة البقرة ٢٣٨ .

وقوله تعالى : (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) سورة آل عمران ١٧.

وقوله تعالى : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) سورة النساء ٣٤ .

وقوله تعالى : (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) سورة الأحزاب ٣٥ .

وقوله تعالى : (عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا.) سورة التحريم ٥ .

وقوله تعالى : (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) سورة التحريم ١٢ .

وجاء الفعل (يقنت) مرة واحدة وذلك فى قوله تعالى : (ومَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) سورة الأحزاب ٣١ .

– والمعنى الجامع للقنوت فى الآيات القرآنية عدا آيتى البقرة ١١٦ ، الروم ٢٦ هو معنى الخشوع والطاعة والخضوع وهو ما يتأكد إذا لاحظنا أن القنوت لم يكن إلا لله ورسوله وهو ما يجعل من مستلزمات مثل هكذا طاعة ، الخشوع والخضوع والرهبة . وليست (الطاعة) المجردة هى ذلك .

– ويقول ابن فارس : " وكل " كنز " فى القرآن فهو المال إلا الذى فى سورة الكهف : (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) [٢٨٥] . فإنه أراد صحفا وعلما . " [٢٨٦] .

ونتوقف أمام آية سورة الكهف لننظر فى دلالة (كنز) الواردة فيها .

يقول الفخر الرازى فى تأويل الآية الكريمة : اختلفوا فى الكنز : فقيل إنه كان مالا : وهذا هو الصحيح لوجهين : الأول : إن المفهوم من لفظ الكنز هو المال والثانى : أن قوله : (ويستخرجا كنزهما) يدل على أن ذلك الكنز هو المال . وقيل إنه كان علما بدليل أنه قال : (وكان أبوهما صالحا) والرجل الصالح يكون كنزه العلم لا المال ، إذ كنز المال لا يليق بالصلاح بدليل قوله تعالى فى التوبة ٣٤ (والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). وقيل : كان لوحا من ذهب " [٢٨٧].

وفى تفسير الطبرى جاء قوله : " اختلف أهل التأويل فى الكنز فقال بعضهم كان صحفا بها علم مدفونة وعن سعيد بن جبير كان تحته كنز لهما قال علم ... وعن عكرمة وكان تحته كنز لهما قال كنز مال .

وعن قتادة وكان تحته كنز لهما قال مال لهما ... وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب القول الذى قاله عكرمة لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك " (٢٨٨) .

– أردت من العرض السابق الإشارة إلى أن ابن فارس هنا قد مال إلى قول فى تفسير (الكنز) بدلالة ليست هى الأقوى أو الأرجح ومع ذلك أتى بها ونصبها موازية للمعنى الأول (المال) . وهو ما كان ينبغى عليه أن يتبعه أو يلتزمه فى حالات أخرى كثيرة كان يعرض فيها قولا واحدا فى المعنى رغم وجود أكثر من معنى ولكن كان يهملها إهمالا تاما ولا يشير إليها أو يذكرها . وهو عكس ما صنعه فى حالتنا هذه .

– ويقول ابن فارس : " وكل " مصباح " فى القرآن فهو الكوكب إلا الذى فى سورة النور : (الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) (٢٨٩) . ، فإنه السراج نفسه " (٢٩٠) .

ورد لفظ مصباح فى التنزيل الكريم فى الآيات الآتية :

قوله تعالى : (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) النور ٣٥

وقوله تعالى : (الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) النور ٣٥

وقوله تعالى : (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا) فصلت ١٢ .

وقوله تعالى : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ) الملك ٥

– الآية ٣٥ النور (الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) جاء فى تأويلها : (أى هذا الضوء مشرق فى زجاجة صافية) (٢٩١). وفيها يقول الزمخشرى : " مصباح السراج نفسه (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) . (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الإضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة . (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (فى زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامى أزهر ، شبهه فى زهرته بأحد الدرارى من الكواكب وهى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها " (٢٩٢)

وفى الآية (١٢) فصلت : " وزينا السماء الدنيا بمصابيح " ، وهن الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض " (٢٩٣) . ومثل ذلك فى آية الملك (٥) .

وهنا اتفق ابن فارس فيما ذهب إليه مع جمهور المفسرين .

– ويقول ابن فارس : " النكاح فى القرآن التزوج ، إلا قوله جل ثناؤه : (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ) [٢٩٤] فإنه يعنى الحلم " [٢٩٥] . (التزوج) و (الحلم) هما معنى النكاح فى القرآن الكريم كما يرى ابن فارس . ولكن النظر فى الآيات التى انتظمت لفظة النكاح يمكن أن يكشف لنا عن مدى دقة هذا الرأى وصوابه .

يقول الله تعالى : " حتى تنكح زوجا غيره " [٢٩٦] . وفى تأويلها يقول الفخر الرازى : " تنكح يدل على الوطء ، وقوله : (زوجا) يدل على العقد ، وأما قول من يقول : إن الآية غير دالة على الوطء ، وإنما ثبت الوطء بالسنة فضعيف ، لأن الآية تقتضى نفى الحل ممدودا إلى غاية ، وهى قوله (حتى تنكح) وما كان غاية للشئ يجب انتهاء الحكم عند ثبوته ، فيلزم انتهاء الحرمة عند حصول النكاح ، فلو كان النكاح عبارة عن العقد لكانت الآية دالة على وجوب انتهاء الحرمة عند حصول العقد ، فكان رفعها بالخبر نسخًا للقرآن بخبر الواحد ، وأنه غير جائز ، أما إذا حملنا النكاح على الوطء ، وحملنا قوله (زوجا) على العقد ، لم يلزم هذا الإشكال) [٢٩٧] .

ومما تقدم يتضح أن النكاح هنا يعنى الوطء .

– ويقول الله تعالى : (وامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) [٢٩٨] . يقول الفخر الرازى : " يعنى حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها ، وقوله تعالى : " إن أراد النبى أن يستنكحها" إشارة إلى أن هبتها نفسها لابد معها من قبول .

وقوله تعالى : " خالصة لك من دون المؤمنين " قال الشافعى رضى الله عنه معناه إباحة الوطء بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خواصك . وقال أبو حنيفة : تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة ومن أمهات المؤمنين لا تحل لغيرك أبدا ، والترجيح يمكن أن يقال بأن على هذا فالتخصيص بالواهبة لا فائدة فيه فإن أزواجه كلهن خالصات له وعلى ما ذكرنا يتبين للتخصيص فائدة " [٢٩٩] .

وبهذا يكون من معانى النكاح : الهبة (خاصة للنبى صلى الله عليه وسلم) .

– ويقول ابن فارس : " النبأ والأنباء فى القرآن الأخبار ؛ إلا قوله تعالى : (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ) [٣٠٠] ؛ فإنه بمعنى الحجج" [٣٠١]

جاء فى تأويل آية القصص " أى فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى إليهم فهم لا يتساءلون . لا يسأل بعضهم بعضا . كما يتساءل الناس فى المشكلات لأنهم يتساوون جميعا فى عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب . وقرئ فعميت وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك يتعتعون فى الجواب عن مثل هذا السؤال ، ويفوضون الأمر إلى علم الله .(يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ) المائدة ١٠٩ – فما ظنك بهؤلاء الضلال" [٣٠٢] .

وجاء فى عمدة التفسير : " قال مجاهد : فعميت عليهم الحجج ، فهم لا يتساءلون بالأنساب " [٣٠٣]
ونرى هنا أن ابن فارس لم يخرج عما ذهب إليه أهل التأويل .
– ويقول ابن فارس " الورود فى القرآن الدخول ، إلا فى القصص : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) [٣٠٤] ، يعنى هجم عليه ولم يدخله" [٣٠٥] .
وإذا عدنا إلى الآيات القرآنية وجدنا دلالات أخرى غير تلك التى ذكرها ابن فارس ومنها قوله تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا) [٣٠٦] . جاء فى تأويلها : " نسوق : يدل على أنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم عِطاش تساق إلى الماء . والورد اسم للعطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش . وحقيقة الورود : السير إلى الماء فسمى به الواردون " [٣٠٧].
فهنا الورود بمعنى العطاش .
– وقوله تعالى (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) [٣٠٨] . وجاء فى تأويلها : " واردهم : وهو الذى يتطلب لهم الماء " [٣٠٩]. الوارد : هنا طالب الماء .
– وقوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) [٣١٠] . جاء فى تأويلها " وروى الإمام أحمد عن عبد الله – هو ابن مسعود – (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يرد الناس كلهم ، ثم يصدرون عنها بأعمالهم " . وروى ابن جرير الطبرى : عن عبد الله : قوله : (الآية) قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم " [٣١١] ، وفى تفسير الطبرى : " عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وإن منكم إلا واردها قال يدخلها .. وقال آخرون بل هو المَرّ عليها . وعقب ابن جرير بقوله " وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوى فيها الكفار ووردوهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكدس فيها " [٣١٢].
ويتبين أن الورود هنا بمعنى : المارّ بالمكان دون مكوث فيه .
ونخلص إلى أن من معانى الورود : العِطاش – طالب الماء – المرور بالمكان دون مكوث فيه وكل ذلك مما فات ابن فارس .
– ويقول ابن فارس : " وكل شئ فى القرآن من (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) [٣١٣] يعنى عن العمل إلا التى فى سورة النساء القصرى (إِلَّا مَا آتَاهَا) [٣١٤] (يعنى النفقة) [٣١٥] .

– وفى تأويل آية الطلاق : " لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها" أى ما أعطاها من الرزق قال السدى: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى " [٣١٦] . ولا خلاف حول ما ذهب إليه ابن فارس هنا.

– ويقول ابن فارس : وكل شئ فى القرآن من يأس فهو القنوط ، إلا التى فى الرعد (أفلم ييأس الذين آمنوا) [٣١٧] . أى ألم يعلموا . قال ابن فارس : أنشدنى أبى ، فارس بن زكريا :

أقول لهم بالشِّعْبِ إذ يَيْسِرُونَنى أَلَمْ تَيْئَسُوا أنى ابنُ فارس زهَدمِ [٣١٨]

قال الصاغانى : البيت لسحيم بن وثيل اليربوعىّ [٣١٩].

– ذكر ابن فارس فى حديثه هنا أن آية سورة الرعد (أفلم يَيْأسِ الذين آمنوا) أى ألم يعلموا وهو ما نحاول أن ننافشه فيما يلى :

جاء فى تفسير الطبرى : " اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله أفلم ييأس فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه ألم يعلم ويتبين ويستشهد لقيله ذلك ببيت سحيم (البيت السابق) وقال عنى بقوله ألم تيأسوا ألم تعلموا وأنشدوا أيضا فى ذلك :

ألم ييأس الأقوام أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا .

وفسروا قوله ألم ييأس ألم يعلم ويتبين . وذكر عن ابن الكلبى أن ذلك لغة لحى من النَخَع يقال لهم وهبيل تقول ألم تيأس كذا بمعنى ألم تعلمه وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن وأنهم يقولون يئست كذا علمت . وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت ويقول هو فى المعنى وإن لم يكن مسموعا يئست بمعنى علمت يتوجه إلى ذلك أن الله قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعا فقال أفلم ييأسوا علما يقول يؤيسهم العلم فكان فيه العلم مضمرا كما يقال قد يئست منك أن لا تفلح علما كأنه قيل علمته علما قال وقول الشاعر :

حتى إذا يَئِسَ الرماةُ وأرسلوا غُضْفًا دواجنَ قافِلا أَعصَامُها .

معناه حتى إذا يئسوا من كل شئ مما يمكن إلا الذى ظهر لهم أرسلوا فهو فى معنى حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذى رأوا وانتهى علمهم فكان ما سواه يأسا وأما أهل التأويل فإنهم تأولوا ذلك بمعنى أفلم يعلم ويتبين ... وعن أبى اسحق الكوفى عن مولى يخبر أن عليا رضى الله عنه كان يقول أفلم يتبين الذين آمنوا . وعن عكرمة ، عن ابن عباس " أفلم ييأس الذين آمنوا يقول ألم يتبين والصواب من القول فى ذلك ما قاله أهل التأويل أن تأويل ذلك أفلم يتبين ويعلم لإجماع أهل التأويل على ذلك والأبيات التى أنشدناها فيه . فتأويل الكلام إذاً ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن كانت سيرت به الجبال لسير بهذا القرآن .

أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله إذا طمعوا فى إجابتى من سأل نبيهم ... أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا إلى الإيمان به من غير إيجاد آية ولا إحداث شئ مما سألوا إحداثه " (٣٢٠) .

أما الزمخشرى فذهب إلى القول " (أفلم يعلم " ، قيل هى لغة قوم من النَخَع ، وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشئ عالم بأنه لا يكون ، كما استعمل الرجاء فى معنى الخوف والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك " (٣٢١) .

وذهب الفراء إلى : " قال المفسرون : ييأس : يعلم ، وهو فى المعنى على تفسيرهم لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو شاء الله لهدى الناس جميعا فقال : أفلم ييأسوا علما يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيهم العلم مضمرا كما تقول فى الكلام : قد يئست منك ألا تفلح علما كأنك قلت : علمته علما . قال الفراء : ولم نجدها فى العربية إلا على ما فسرت . وقول الشاعر (٣٢٢).

حتى إذا يَئِسَ الرماةُ وأرسلوا غُضْفًا دواجنَ قافِلا أَعصَامُها .

معناه حتى إذا يئسوا من كل شئ مما يمكن إلا الذى ظهر لهم أرسلوا . فهو معنى حتى إذا علموا أن ليست وجه إلا الذى رأوا أرسلوا . كان ما وراءه يأسا . وجاء فى البحر المحيط " واليأس القنوط فى الشئ وهو هنا فى قول الأكثرين بمعنى العلم " (٣٢٣) . " وأنكر الفراء أن يكون يئس بمعنى علم وزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت . وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون اليأس فى هذه الآية على بابه وذلك أنه لما أبعد إيمانهم فى قوله ولو أن قرآنا (الآية) قال فى هذه أفلم ييأس المؤمنون انتهى " (٣٢٤)

ويقول الفخر الرازى : (أفلم ييأس) أفلم يعلموا . ثم ذكر قول الكسائى . ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت ألبتة " (٣٢٥).

وفى عمدة التفسير " أفلم ييأس " أى من إيمان جميع الخلق ويعلموا ويتبينوا " (٣٢٦) .

وذهب ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن فى باب المقلوب : و " يئست " بمعنى : " علمت " من قول الله تعالى : " أفلم ييأس " الآية . لأن فى علمك الشئ وتيقنك له يأسك فى غيره " (٣٢٧) .

وبعد هذا العرض للآية الكريمة وما جاء فى تأويلها من اختلاف وتباين يبقى أن نقرر أن المعنى الذى أميل إلى الأخذ به هو أن اللفظ قد جاء على أصل معناه وهو القنوط للأسباب الآتية : نفى الكسائى والفراء أن يكون العرب قد استخدموا يئست بمعنى علمت ألبتة .

– أن بعض من فسروا الآية بمعنى (علم أو تبين) كان من باب الإقرار بوقوع القنوط التام وبالتالى لم يعد هناك إلا توقع الضد من الميئوس منه وهو بمثابة العلم . وهذا يؤكد أن المعنى لم يتغير إلى يعلم أو

يتبين بل ما زال على أصله وهو (اليأس التام) أما ما يترتب عليه فهو أمر آخر أو نتيجة لوقوع اليأس لا انتفائه .

– استعمال بعض اللهجات (يئس) بمعنى (علم أو تبين) لا يعنى تعميمها في استخدام اللفظ خارج نطاق هذه اللهجات أو باعتباره الأصل فى الاستعمال .

– وأخيرا لعل العودة إلى الاستعمال القرآنى لمادة (يَئِسَ) تثبت بجلاء أن القرآن الكريم استخدم هذه المادة فى كل السياقات التى انتظمت اللفظ بحالاته المختلفة على أصل معناه وهو القنوط واليأس . وهذه الآيات هى :

قوله تعالى : " اليَومَ يَئِسَ الذِينَ كَفَروا مِن دينِكم فَلا تَخْشَوهُمْ واخْشَونِ " (٣) المائدة

وقوله تعالى : قَد يَئِسُوا مِن الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِن أصْحابِ القُبُورِ " (١٣) الممتحنة .

وقوله تعالى : " واللَّائِى يئَسْنَ مِنَ المَحِيْضِ " (٤) الطلاق .

وقوله تعالى : " أولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَحْمَتِىْ " (٢٣) العنكبوت .

وقوله تعالى : " ولا تَيْأسُوا مِن رَوْحِ الله " (٨٧) يوسف

وقوله تعالى : " إنَّهُ لا يَيْأسُ مِن رَوْحِ الله إلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ " (٨٧) يوسف

وقوله تعالى : " حتى إذا استيأسَ الرسلُ وظَنوا أَنهم قد كُذِبُوا جَاءَهم نَصْرُنا " (١١٠) يوسف

وقوله تعالى : " ولئِن أذَقْنَا الإنسَانَ منا رَحْمَة ثُم نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إنه لَيَئُوسٌ كَفُورٌ " (٩) هود

وقوله تعالى : " لا يَسئمُ الإنسانُ من دعاءِ الخيرِ وإن مسهُ الشر فيَئُوسٌ قَنُوطٌ " (٤٩) فصلت

وقوله تعالى : " وإذا مسهُ الشر كَانَ يؤُوسًا " (٨٣) الإسراء .

ومعها قوله تعالى " أفَلَمْ يَيْأَسِ الذِينَ آمَنُوا أنْ لَوْ يَشَاءُ الله لَهَدَى الناسَ جَمِيْعًا " (٣١) الرعد .

وكلها كما يبدو – والله أعلم – يرد فيها اليأس بمعناه الأساسى الدال على القنوط وانقطاع الرجاء. وهو ما يتفق وسياق الآية الكريمة على ما نرجح والله أعلم . وبذلك لا اتفق مع ما ذهب إليه ابن فارس من أن كل ما ورد فى القرآن الكريم هو من القنوط إلا آية الرعد – فالأولى أن نقول: إن كل ما جاء فى القرآن الكريم من (يأس) هو (القنوط) وكفى.

– ويقول ابن فارس : (وكل شئ فى القرآن من ذكر " الصبر " محمود ، إلا قوله عز وجل : " لولا أن صبرنا عليها " [٣٢٨] ، و " واصْبِرُوا على آلهِتكُمْ " [٣٢٩] . انتهى ما ذكره ابن فارس) [٣٣٠] .

– ما ذهب إليه ابن فارس يحتاج بدوره إلى إعادة النظر مرة أخرى فيما ذهب إليه من أن كل (صبر) فى القرآن (محمود) إلا فى الموضعين اللذين ذكرهما . ذلك أننا نجد قوله تعالى : " فما أصبرهم على

النار " [٣٣١] . جاء فى تأويلها " (ما) فى هذه الآية استفهام التوبيخ معناه ما الذى أصبرهم وأى شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل " [٣٣٢] .

– وفى البحر المحيط " تعجب من كثرة صبرهم . وقيل اصبر هنا بمعنى أجرأ وهى لغة يمانية فيكون لفظ اصبر إذ ذاك مشتركا بين معناها المتبادر إلى الذهن من حبس النفس على الشئ المكروه ومعنى الجرأة أى ما أجرأهم على العمل الذى يقرب إلى النار " [٣٣٣] .

وواضح أن الآية الكريمة ليست مما يندرج تحت الذم أو المدح بل هى داخلة فى سياق التعجب من الجرأة على الله بارتكاب ما يؤدى إلى استحقاق العذاب الأليم . وإن حمل على أن المعنى فيه دلالة التوبيخ أو التقريع وهو مما يندرج تحت قسم ما لا يحمد من الصبر – حتى مع هذا – يكون ابن فارس مؤاخذا لأنه لم يشر إلى هذه الآية مما يؤكد عدم التفاته أو تنبهه إليها والله أعلم.

الخاتمة

تناول هذا البحث موضوع " الوجوه والنظائر فى كتاب " الأفراد " لابن فارس دراسة دلالية " وهو موضوع يعالج ظاهرة المشترك اللفظى فى القرآن الكريم . " والوجوه والنظائر " ، أحد علوم القرآن المهمة التى يعتمد عليها فى تفسير القرآن الكريم وسبر أغواره وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن الكريم ، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ولا يوجد ذلك فى كلام البشر . والمقصود بالوجوه هو تفسير الكلمة بمعانيها المختلفة فالوجوه اللفظ المشترك الذى يستعمل فى معان عدة . والمقصود بالنظائر كل كلمة ذكرت فى موضع وذكر نظيرها فى موضع آخر . فالنظائر فى اللفظ والوجوه فى المعانى .

وقد تمثلت المادة التى اعتمدت عليها فى هذه الدراسة فى كتاب " الأفراد " لابن فارس ، وهو الكتاب الذى ذكره الزركشى فى البرهان حين عرض لبعض المؤلفين فى علم الوجوه والنظائر ، وكان منهم ابن فارس وكتابه (الأفراد) .

وقد انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج منها .

– جاءت مادة كتاب الأفراد متضمنة خمسا وثلاثين كلمة من كلمات (الوجوه والنظائر) فى القرآن الكريم . وكان لابن فارس طريقته فى عرض هذه الكلمات حيث كان يقدم لكل منها بقوله " كل " (ما فى القرآن من كذا) ، أو كل (ما فى كتاب الله من ....) وما شاكلها من عبارات توحى بأن ما يقدمه إنما هو قائم على الإحصاء والاستقصاء الدقيق والإحاطة الكاملة بالمادة التى يعرضها وهو ما اتضح من خلال البحث أنه أمر لم يسلم له إلا فيما ندر .

– تبين أن ابن فارس قد التزم ترتيب مادة "الأفراد" على حروف المعجم . حيث بدأ بالكلمات المبدوءة بالألف ثم التى بالباء وهكذا حتى حرف الياء . ولكن هذا الترتيب انتقض مع آخر الكلمات التى عرضها وهى كلمة (الصبر) التى جاءت بعد كلمة (يأس) ، ولم يتضح السبب وراء ذلك . وكان ينبغى أن تدرج كلمة (الصبر) هذه بعد كلمة (شهيد) حتى يسلم له الترتيب الذى اختطّه لنفسه.

– من أهم المآخذ التى سجلت على ابن فارس من خلال خطوات البحث ما يتمثل فى حالة التسرع والتعجل فى إطلاق تعميمات غير دقيقة وغير صحيحة ، إلى جانب افتقاد عنصرى الدقة والضبط فى بعض معالجاته اللغوية للمفردات التى عرض لها أو القفز إلى نتائج على غير ما دليل أو حجة تدعم ما يذهب إليه وهو ما نزيده بيانا وإيضاحا فيما يأتى :

– عند عرضه لمادة (الأسف) أورد من معانيها : الحزن – الغضب – الغيظ ، وفاته معنيىّ : التندم والحسرة .

– كلمة (البحر) ذكر لها ابن فارس معنى هو (الماء) دون أى تحديد أو وصف . ولكننا نرى الكلمة قد جاءت فى سياقات متعددة بدلالات مختلفة منها : اليم – المدائن – الماء العذب أو المالح – البحر المحبوس – البحر الموقد – بحر تحت العرش –

– وقول بأن كلا من موسى والخضر بحر من العلم . وهو قول فاسد . ولكنه ورد فى معرض تفسير الآية (٦٠ الكهف) وعرضه يكون بغرض التنبيه إلى فساده ووجوب طرحه .

– عند عرضه لكلمة (بعل) الآية (١٢٥ الصافات) فسرها بقوله بعل يعنى صنم وهو قول غير دقيق . فبعل اسم (علم) لصنم بعينه وليس معنىً لبعل وإلا جاز أن نطلق (بعلا) على كل وثن أو صنم وهو غير صحيح .

– هناك فارق بين الاستعمال المجازى والاستعمال الحقيقى للكلمة ويكون ذلك واضحا من خلال السياق وهما بذلك لا يتداخلان وهو ما ينطبق على كلمة (أبكم) التى استعملت بالمعنى المجازى حينا وفى سياق آخر بالمعنى الحقيقى كما فى آيتى (الإسراء ٩٧) و (النحل ٧٦) ولكن يضاف إلى ذلك أن المعنى هنا لا يقف عند حد عدم القدرة على الكلام مطلقا – على الحقيقة – كما ورد فى أقوال المفسرين بل يتعداه إلى إضافة أخرى وهى إنه إلى ذلك (لا يعقل) أو (ضعيف العقل) وهو ما لا نجد له إشارة فى كلام ابن فارس .

– ذهب ابن فارس إلى القول كل شئ فى القرآن (جثيا) فمعناه جميعا . وهو قول غير صحيح فالذى ورد فى التنزيل الكريم من هذه المادة ثلاثة ألفاظ وجميعها بمعنى (الجثو على الركب) ولا وجود لـ (جثيا) أخرى بمعنى جميعا .

– قدم ابن فارس لفظ (الحسرة) بمعنى (الحزن) فى الآية (١٥٦ – آل عمران) والحق أن معنى الحسرة لم يقف عند معنى (الحزن) وحده بل أضيف إليه معانى : الحيرة والخيبة وضيق الصدر وكلها دلالات لم يشر إليها . كذلك فيما يتصل بالآيات التى ذكرت فيها الحسرة بمعنى الندامة كما فى (٣٠ يس) ، لم يقف المعنى عند الندامة فقط بل زيد معه معنى الغم كذلك .

– فسر ابن فارس (داحضة) بـ (باطلة) . ولكن أهل التأويل زادوا عليها : (باطلة زائلة) .

– (وباطلة لا ثبوت لها) – وأيضا بمعنى (الإزالة) وهذا معنى غير البطلان وكل ذلك لم يلتفت إليه ابن فارس .

– (الرُّجز) فى الآية (٥ – المدثر) لدى ابن فارس تعنى الصنم . ولكن لها من المعانى الأخرى كذلك : العذاب – كيد الشيطان – ووساوسه – والقبيح المستقذر – إضافة إلى معنى الصنم .

وكذلك (الرِّجز) بمعنى (العذاب) لدى ابن فارس ولكن من معانيها الأخرى كذلك كيد الشيطان ووساوسه – وقيل الجنابة – وقيل الخسف – والرمى بالحجارة – أو نار تسلط عليهم .

– لدى ابن فارس الريب : شك . وهذا قول فيه الكثير من التجوز وعدم الدقة . فقد جاء الريب فى معان كثيرة منها : حوادث الدهر وأوجاعه – الحسرة – الغيظ – الكفر – الندامة – الأسف – النفاق .

ولعل وصف الشك بالمريب فى الآيات القرآنية يوحى بأن الشك غير الريب وإلا كان من قبيل وصف الشئ بنفسه . إضافة إلى التفرقة بين الدلالتين فالشك استواء طرفى التجويز ، والارتياب شك مع تهمة .

– قدم ابن فارس (للرجم) دلالتين هما : القتل والشتم . ولكن يضاف إليهما كذلك معانى : الظن والطرد واللعن والرمى نفسه .

– كل (زور) فى القرآن الكذب ويراد به الشرك ، كما ذكر ابن فارس ؛ ولكن الآيات التى تأولها ابن فارس بذلك حملت دلالات أخرى منها : الشهادة الباطلة – الكذب والبهتان – الانحراف – مجالس الباطل – واللهو والغناء – أعياد المشركين .

أما ما جاء فى تأويل (الزور) فى سورة المجادلة فهو كذب على الحقيقة وليس من قبيل المجاز

– حدد ابن فارس معنى (الزكاة) فى القرآن الكريم (بالمال) إلا ما جاء فى سورة (مريم ١٣) بمعنى (تعطفا) . وما جاء فى سورة مريم له لدى أهل التأويل كذلك من الدلالات ما غفل عنها ابن فارس ومن ذلك : العمل الصالح – حسن الثناء – صدقة من الله على أبويه – الطهارة من الدنس والآثام والذنوب .

و (الزكاة) التى عرفها بأنها (المال) فى كل القرآن عدا الآية السابقة هذه الزكاة بدورها كان لها الدلالات الآتية . قول لا إله إلا الله – التطهر والتبرئة من الذنوب – المدح والثناء – ما حلَّ من الطعام – العمل الصالح وفعل الطاعات – التنزه عن المعاصى – صدقة الفطر .

وكلها مما لا يجوز إهداره أو إغفاله ، وإلا فما الغآية من تناول كلمات قامت أساسا على اعتبار تعدد معانيها ودلالاتها ثم لا نفى بحقها فى التمحيص والفحص والتحرى والتدقيق الذى يمكن أن يكشف عما استكن بها من معان أو توارى من دلالات وكلها تبقى دائما فى انتظار البحث والتنقيب عنها .

– (الزيغ) له لدى ابن فارس دلالتان : الميل والإشخاص ، ولكننا نجد له مع هاتين الدلالتين دلالتين أخريين هما الحيرة والضلال .

– فى تقديمه لـ (سُعُر) : ذكر أن معناها : العناد أما جمهور المفسرين فقد قدموا لها من المعانى: الجنون – سعر الذل والعبودية – العذاب – العناء – وقود النار – الخطر – سعر الشكوك – الاضطراب فى الآراء – وأخيرا سُعُر جمع سعير . ومن اللافت أن جمهور المفسرين لم نجد من بينهم مَنْ ذكر أن سُعُر تعنى : (العناد) التى قال بها ابن فارس . وهو ما دفعنى إلى التشكك فى صحة اللفظ المثبت فى البرهان فربما هو (العناء) وحدث تحريف فى الكلمة ووقع تبادل بين حرفى آخر الكلمتين وبخاصة أنهما متشابهتان إملائيا إلا فى الحرف الأخير . فإن صح هذا الاحتمال كان ابن فارس قد وافق جمهور المفسرين فى واحد من تخريجاتهم أو تأويلاتهم . ولكن هذا إن صح لا ينفى عن ابن فارس تقصيره عن الالتفات إلى المعانى الأخرى التى لم يشر إليها .

– الشيطان يعنى عند ابن فارس إبليس وجنوده وذريته . إلا آية (البقرة ١٤) فالمراد الكهنة . ولكننا نجد دلالات أخرى للشيطان هى : نوع من الحيات – نوع من النبات – الطغاة ورءوس الكفر وهو أيضا مما لم يرد له ذكر عند ابن فارس .

– (شهيد) يرى ابن فارس أنها تعنى : القتلة فى الغزو – الشهداء على أمور الناس – الشركاء . ويبقى من الدلالات التى لم يلتفت إليها ابن فارس : النبى – الملائكة – أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

– معنى (صلاة) ذكر أنها (عبادة ورحمة) – والمعنى الآخر (بيوت العبادة) ونقول بل من معانيها كذلك : الدعاء – الثناء – الاستغفار – الرحمة . وكلها مما فات ابن فارس الإشارة إليه.

– (عذاب) يعنى : التعذيب والضرب . هكذا زعم ابن فارس . ولكن استقراء الآيات القرآنية التى تضمنت لفظ (العذاب) كشفت عن المعانى الآتية : القتل – القحط سبع سنين والجوع – سلب النعمة وهلاك الأموال – نزع الريش والتشميس – وكلها لم يرد لها ذكر عند ابن فارس .

– (القانتون) المطيعون . بخلاف آيتى (١١٦ – البقرة) ، (٢٦ – الروم) بمعنى مُقِرُّون ولكنا أيضا هنا نلمح فارقا دلاليا مهما وهو أن قانتون لا تعنى مجرد الطاعة وكفى لأنها قد تكون طاعة عن جبر أو قهر أو تقيَّة . ولكن (قانتون) أو (قانت) تستلزم الاقتران بالخشوع والخضوع واستشعار الرهبة وبخاصة أن هذا القنوت لا يكون إلا لله وللرسول ولعل ذلك ملمح دلالى مهم لا يجوز إغفاله.

– (النكاح) : أورد له معنى : التزوج والحُلُم . وغفل عن معنيىّ : الوطء – (والهبة) خاصة للنبى صلى الله عليه وسلم .

– (الورود) (الدخول) ، إلا الآية (٢٣ – القصص) بمعنى عدم الدخول ولكن الآيات القرآنية دلت على معان أخرى هى : العِطاش – طالب الماء – المار بالمكان دون مكوث فيه .

– (أفلم ييأس) قال : (أفلم يعلم أو يتبين) . وهو قول لم نساير فيه ابن فارس بأدلة بسطناها فى موضعها من البحث وانتهيت إلى أن المعنى الراجح . والله أعلم – أن الكلمة جاءت على أصل معناها وهو اليأس وانقطاع الرجاء وما يترتب على ذلك لا يقع ترتيبا على تغير المعنى بل تأكيدا لتحقق القنوط وانقطاع الرجاء والأمل .

– ذكر ابن فارس أن (الصبر) فى القرآن كله محمود إلا ما جاء فى الآيتين (٤٢ – الفرقان) ، (٦– ص) وما ذهب إليه هنا أيضا لم يكن دقيقا حيث جاء (الصبر) فى الآية (١٧٥ – البقرة) بمعنى الجرأة وهو معنى لم يتطرق إليه ابن فارس .

– يجب الإشارة إلى عدم توفيق ابن فارس فى استعماله لفظة " كل ما فى القرآن "وكل" ما فى كتاب الله فمثل هذه التعبيرات ينبغى التنزه عن استعمالها لأنه يلزم نفسه بما لا يطيق وبما لا يحول بينه وبين مواطن الزلل ولعل الأَوْلَى أن يستخدم مثلا (مما جاء فى القرآن من كذا ..) أو مما وصلنى من كذا ...) وما شابه ذلك من تعبيرات تمنحه فرصة المراجعة والاستدراك والإضافة والحذف وكل ذلك يصبح مقبولا متاحا . بخلاف (كل) التى تغلق دائرة القول فلا يكون هناك مجال لإضافة أو استزادة .

يبقى القول إن قضية الوجوه والنظائر إحدى أهم قضايا المعنى بحق ومن ثم استحقت أن تشغل القدماء والمحدثين على السواء لما لها من أهمية وأثر بالغين فى فهم النص القرآنى وسبر أغواره . وهو ما يجعلها قضية حية تظل رغم كل ما قيل فيها وحولها بحاجة إلى المزيد من التناول العلمى الرصين والقراءة الجادة المتجددة .

وإننى لأرجو أن أكون قد قدمت فى هذا المضمار ولو إسهاما متواضعا يفيد وينفع فى خدمة النص القرآنى واللغة العربية . وإنى لأسأل الله أن يعفو عما وقعت فيه من التقصير أو الخطأ . إنه ولى ذلك والقادر عليه . ولله الحمد من قبل ومن بعد .

المراجع

القرآن الكريم
١- الأعلام – لخير الدين الزركلى – دار العلم للملايين – بيروت – ط التاسعة ١٩٩٠م
٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة – للقفطى – ت. محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الكتب – ١٩٥٠ م .
٣- الباعث الحثيث – لابن كثير – أحمد محمد شاكر – ط الثالثة – مكتبة محمد صبيح وأولاده .
٤- البحر المحيط – لأبى حيان الأندلسى – دار الفكر – بيروت – ط الثانية – ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م
٥- البرهان فى علوم القرآن للزركشى – ت. محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث
٦- تأويل مشكل القرآن – لابن قتيبة – دار التراث – ط. الثانية – ١٣٩٣ – ١٩٧٣م
٧- التفسير الكبير – لفخر الدين الرازى – ت: سيد عمران – دار الحديث – القاهرة .
٨- جامع البيان فى تفسير القرآن–لابن جرير الطبرى– دار المعرفة– بيروت.ط الثالثة ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨ م
٩- الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى – دار الكتب المصرية ١٣٥٤ هـ .
١٠- ديوان كعب بن مالك الأنصارى – ت. د. سامى مكى العانى – مطبعة المعارف – بغداد – ١٩٦٦ م
١١- ديوان لبيد بن ربيعة – مطبعة حكومة الكويت – ط. الثانية مصورة – ١٩٨٤ م
١٢- طبقات المفسرين – للسيوطى – ت. على محمد عمر – مكتبة وهبة – القاهرة . ط الأولى ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م
١٣- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير – أحمد شاكر – دار الوفاء – ط . الثامنة– ١٤٢٨ هـ– ٢٠٠٧ م
١٤- الفروق اللغوية – لأبى هلال العسكرى – دار زاهد القدسى .
١٥- الكشاف – للزمخشرى – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م
١٦- الكليات – لأبى البقاء الكفوى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط . الثانية ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م
١٧- لسان العرب – لابن منظور – طبعة مصورة عن طبعة بولاق – الدار المصرية للتأليف والترجمة .
١٨- مجمل اللغة – لابن فارس – ت – زهير عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – العراق
١٩- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها – للسيوطى – مطبعة عيسى البابى الحلبى – ت . محمد أحمد جاد المولى وآخرين .
٢٠- المصباح المنير – للفيومى – المكتبة العلمية – بيروت .
٢١- معانى القرآن – للفراء – الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٢- معجم الأدباء – لياقوت الحموى – دار الفكر – ط . الثالثة – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م

٢٣- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – الطبعة الثالثة
٢٤- المقدمة – لابن خلدون – دار الشعب .
٢٥- وفيات الأعيان – لابن خلكان – ت. محمد محيى الدين عبد الحميد – ١٩٤٨ م

حواشي البحث

١. المزهر للسيوطي – عيسى البابي الحلبي ٣٧٠/١ . ٢. سورة النصر ١ .
٣. المقدمة لابن خلدون – دار الشعب ٤٠٣ ، ٤٠٤ .
٤. البرهان في علوم القرآن – للزركشي – مكتبة دار التراث ١٣/١ . ٥. السابق ١٠٢/١ .
٦. ترجمة ابن فارس في : معجم الأدباء – لياقوت الحموي ، دار الفكر ٨٠/٤ – ٩٨ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة – للقفطي – ت : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الكتب المصرية ١٩٥٠م ٨٦/١ ، وفيات الأعيان – لابن خلكان – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – ١٩٤٨ م – ٣٥/١ ، ٣٦ ، والأعلام للزركلي – دار العلم للملايين ١٩٣/١ .
٧. طبقات المفسرين للسيوطي ، مكتبة وهبة ٢٦ . ٨،٩. البرهان في علوم القرآن ١٠٢/١ .
١٠. الحديث المرفوع هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة من قول أو فعل أو تقرير ، سواء أكان متصلاً أم منقطعاً لسقوط الصحابي منه أو غيره . الباعث الحثيث لابن كثير – ط٣ – ٤٥ .
١١. البرهان في علوم القرآن ١٠٣/١ ، ١٠٤ . ١٢. سورة يوسف ٨٤ .
١٣. سورة الزخرف ٥٥ . ١٤. سورة الأعراف ١٥٠ ، طه ٨٦ .
١٥. البرهان في علوم القرآن ١٠٥/١ . ١٦. سورة الكهف ٦ .
١٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب المصرية ١٣٥٤ هـ – ٢٤٨/٩ .
١٨. تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) – للطبري – دار المعرفة – بيروت ٢٦/١٣ .
١٩. الكشاف للزمخشري – طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م – ٣٨٨/٢ .
٢٠. السابق ٤٧٣/٢ . ٢١. البرهان للزركشي ١٠٥/١ . ٢٢. سورة البروج ١
٢٣. سورة النساء ٧٨ . ٢٤. التفسير الكبير للرازي – دار الحديث بالقاهرة – ٢٠١٢ –٣٩٨/٥ .
٢٥.الكشاف ٥٤٥/١ . ٢٦. البرهان ١٠٥/١ . ٢٧. سورة الروم ٤١ .
٢٨. الكليات لأبي البقاء الكفوي – مؤسسة الرسالة – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م – ٢٢٥ .
٢٩. الدخان ٢٤ . ٣٠. الأعراف ١٣٨ ، يونس ٩٠ . ٣١. الكهف ٦٠ .
٣٢. الكشاف ٤٩٠/٢ . ٣٣. التفسير الكبير ١٥١/١١ . ٣٤. الرحمن ١٩ .
٣٥. فاطر ١٢ . ٣٦. الطور ٦ . ٣٧. تفسير الطبري ١٢/٢٧ .
٣٨. التفسير الكبير ١٢٥/١٣ . ٣٩. الجن ١٣ . ٤٠. يوسف ٢٠ .
٤١. البرهان ١٠٥/١ . ٤٢. التفسير الكبير ٣٠٨/٩ . ٤٣. البقرة ٢٢٨.
٤٤. الصافات ١٢٥ . ٤٥. البرهان ١٠٥/١ ، ١٠٦ . ٤٦. النساء ١٢٨ .

٤٧. هود ٧٢ .
٤٨. النور ٣١ .
٤٩. التفسير الكبير ٤١٩/١٣ .
٥٠. الكشاف ٣٥٢/٣ .
٥١. البرهان ١٠٦/١ .
٥٢. البقرة ١٨ .
٥٣. الإسراء ٩٧ .
٥٤. النحل ٧٦ .
٥٥. التفسير الكبير ٣٩٥/١ .
٥٦. المؤمنون ١٠٨ .
٥٧. التفسير الكبير ٦٣/١١ ، الكشاف ٤٦٧/٢ .
٥٨. التفسير الكبير ٢٩٣/١٠ .
٥٩. الكليات للكفوي ٢٢٥ .
٦٠. مجمل اللغة لابن فارس – مؤسسة الرسالة – العراق – ١٣٢/١ .
٦١. الجاثية ٢٨ .
٦٢. البرهان ١٠٦/١ .
٦٣. مريم ٦٨ .
٦٤. مريم ٧٢ .
٦٥. التفسير الكبير ٢٦٦/١٤ .
٦٦. الكشاف ٥١٣/٣ .
٦٧. التفسير الكبير ٢٥٠/١١ .
٦٨. السابق ٢٥٢/١١ .
٦٩. الكشاف ٥١٨/٢ .
٧٠. الكهف ٤٠ .
٧١. البرهان ١٠٦/١ .
٧٢. الكشاف ٤٨٥/٢ .
٧٣. الرحمن ٥ .
٧٤. الأنعام ٩٦ .
٧٥. الكشاف ٣٨/٢ .
٧٦. يونس ٥ .
٧٧. التفسير الكبير ٩١/٧ .
٧٨. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي – دار الفكر – ط٢ – ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م – ١٢٩/٦ .
٧٩. يس ٣٠ .
٨٠. آل عمران ١٥٦ .
٨١. البرهان ١٠٦/١ .
٨٢. مجمل اللغة ٢٣٤/١ .
٨٣. الأنفال ٣٦ .
٨٤. مريم ٣٩ .
٨٥. الحاقة ٥٠ .
٨٦. تفسير الطبري ٩٧/٤ .
٨٧. الأنعام ١٢٥ .
٨٨. الكشاف ٤٧٤/١ .
٨٩. التفسير الكبير ٥٥/٥ – البحر المحيط ٩٥/٣ .
٩٠. التفسير الكبير ١٤٧/٨ – الكشاف ١٥٧/٢ .
٩١. التفسير الكبير ٢٢٨/١١ .
٩٢. التفسير الكبير ٣٢٢/١٣ – الكشاف ٣٢٠/٣ .
٩٣. التفسير الكبير ٤٣٠/١٥ – الكشاف ١٥٥/٤ .
٩٤. الشورى ١٦
٩٥. الصافات ١٤١ .
٩٦. البرهان ١٠٦/١.
٩٧. الكهف ٥٦ .
٩٨. الوسيط (دحض) .
٩٩. التفسير الكبير ١٥٧/١٤ .
١٠٠. الكشاف ٤٦٥/٣ .
١٠١. البحر المحيط ٥٣/٧ .
١٠٢. الكشاف ٣٥٣/٣ .
١٠٣. التفسير الكبير ٤٢٢/١٣ .
١٠٤. البحر المحيط ٣٧٥/٧ .
١٠٥. التفسير الكبير ١٤٦/١١ .
١٠٦. البحر المحيط ١٣٩/٦ .
١٠٧. الأعراف ١٣٤ .
١٠٨. المدثر ٥ .
١١٠. البرهان ١٠٦/١ ، ١٠٧ .
١١١. الكشاف ١٨١/٤ .
١١٢. التفسير الكبير ٣٥/٨ –١٠٦/٢ .
١١٣. الكشاف ١٠٨/٢ .
١١٤. التفسير الكبير ١٠٦/٢ .
١١٥. السابق ٢٣٤/١٣ .
١١٦. السابق ٦٣/١٣ .
١١٧. السابق ١٢٤/٨ .
١١٨. البحر المحيط ٤٦٩/٤ .
١١٩. الطور ٣٠ .
١٢٠. البرهان ١٠٧/١ .
١٢١. مجمل اللغة ٤٠٨ .
١٢٢. قائله كعب بن مالك في ديوانه ٢٣٤ – دراسة وتحقيق د. سامي مكي العاني – بغداد – ١٩٦٦م .
١٢٣. الكليات ٥٢٨.
١٢٤. هود ١١٠ – وفصلت٤٥ .
١٢٥. عمدة التفسير ٣٤٦/٣ .
١٢٦. البحر المحيط ١٥١/٨ .
١٢٧. تفسير القرطبي ٧٢/١٧.
١٢٨. الكليات للكفوي ٨٧٢ .

١٢٩. تفسير القرطبي ٢٦٦ .
١٣٠. البحر المحيط ١٠٥/١.
١٣١. التفسير الكبير ٢٢٩/٩ .
١٣٢. البحر المحيط ٢٣٨/٥.
١٣٣. الكشاف ٢٧٨/٢.
١٣٤. عمدة التفسير ٢٣٣/٢ .
١٣٥. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري –دار زاهد القدسي ٧٩ .
١٣٦. السابق ٨٠ .
١٣٧. مريم ٤٦ .
١٣٨. الكهف ٢٢ .
١٣٩. البرهان ١٠٧/١ .
١٤٠. يس ١٨ .
١٤١. التفسير الكبير ٣١٢/١٣ .
١٤٢. هود ٩١ .
١٤٣. التفسير الكبير ٢٥٧/٩ .
١٤٤. مريم ٤٦ .
١٤٥. التفسير الكبير ٢٣٥/١١ .
١٤٦. الكشاف ٥١١/٢ .
١٤٧. الملك ٥ .
١٤٨. التفسير الكبير ٣٧٢/١٥ .
١٤٩. الكهف ٢٢ .
١٥٠. عمد التفسير ٤١٥/٢ .
١٥١. النحل ٩٨ .
١٥٢. المجادلة ٢ .
١٥٣. البرهان ١٠٧/١ .
١٥٤. الحج ٣٠ .
١٥٥. الفرقان ٧٢ .
١٥٦. الفرقان ٤ .
١٥٧. التفسير الكبير ٣٣/١٢ .
١٥٨. الكشاف ١٢/٣ .
١٥٩. السابق ١٠١/٣ .
١٦٠. التفسير الكبير ٣٦٠/١٢.
١٦١. السابق ٢٩٦/١٢ .
١٦٢. الكشاف ٨٣/٣ .
١٦٣. التفسير الكبير ٣٦٠/١٢ .
١٦٤. الكشاف ٧٠/٤ .
١٦٥. التفسير الكبير ٢٥٨/١٥ .
١٦٦. البحر المحيط ٢٣٢/٨ .
١٦٧. عمدة التفسير ٤١١/٣ .
١٦٨. مريم ١٣ .
١٦٩. البرهان ١٠٧/١ .
١٧٠. الكشاف ٥١٤/٢ .
١٧١. عمدة التفسير ٤٤١/٢ .
١٧٢. التفسير الكبير ١٩٨/١١ .
١٧٣. سورة البقرة الآيات ٤٣–٨٣–١١٠–١٧٧ ، سورة النساء ٧٧، سورة التوبة ٥–١١، سورة الحج ٤١–٧٨، سورة النور ٥٦، سورة المجادلة ١٣ .
١٧٤. النساء ١٦٢ .
١٧٥. فصلت ٦ ، ٧ .
١٧٦. تفسير القرطبي ٣٤/١٥ .
١٧٧. التفسير الكبير ١٠٠/١٤ .
١٧٨. عبس ٧ .
١٧٩. التفسير الكبير ٦١/١٦ .
١٨٠. النساء ٤٩ .
١٨١. البقرة ١٧٤ ، وآل عمران ٧٧ .
١٨٢. تفسير القرطبي ٢٣٥/٢ ، ٢٤٦/٥ .
١٨٣. التفسير الكبير ٣٤٤/٥ .
١٨٤. عمدة التفسير ٤٦١/١ .
١٨٥. البقرة ١٧٤ .
١٨٦. التفير الكبير ٣٢/٣ .
١٨٧. السابق ٣١٧/٤ .
١٨٨. الكهف ١٩ .
١٨٩. التفسير الكبير ١٠٨/١١ .
١٩٠. فاطر ١٨ .
١٩١. التوبة ١٠٣ .
١٩٢. التفسير الكبير ٢٧٥/٣ .
١٩٣. السابق ٣٨٠/٢ .
١٩٤. عمدة التفسير ٩٤/٣ .
١٩٥. البحر المحيط ٣٠٨/٧ .
١٩٦. سورة الأعلى ١٤ .
١٩٧. عمدة التفسير ٣٥٣/٣ .
١٩٨. سورة الأحزاب ١٠ .
١٩٩. البرهان ١٠٧/١ .
٢٠٠. معاني القرآن للفراء ٣٣٦/٢ .
٢٠١. التفسير الكبير ١٩٢/١٣ .
٢٠٢. الكشاف ٢٥٣/٣ .
٢٠٣. التفسير الكبير ٣١٢/١٥ .
٢٠٤. تفسير القرطبي٨٢/١٨ .
٢٠٥. الزخرف ٣٢ .
٢٠٦. البرهان ١٠٧/١.
٢٠٧. عمدة التفسير ٢٣٩/٣ .
٢٠٨. البقرة ٢٤٨ .
٢٠٩. البرهان ١٠٧ ، ١٠٨ .
٢١٠. الكشاف ٣٧٩/١ .
٢١١. التفسير الكبير ٤٠٤/٣ .
٢١٢. سورة القمر ٤٧ .
٢١٣. البرهان ١٠٨/١ .
٢١٤. الكشاف ٣٩/٤ .
٢١٥. التفسير الكبير ٥٣/١٥، ٥٤
٢١٦. السابق ٧٥/١٥ .

٢١٧. الكشاف ٤١/٤ .
٢١٨. البحر المحيط ١٨٠/٨ .
٢١٩. عمدة التفسير ٣٦٦/٣ .
٢٢٠. البقرة ١٤ .
٢٢١. البرهان ١٠٨/١ .
٢٢٢. الكشاف ١٨٤/١ .
٢٢٣. عمدة التفسير ٨١/١ .
٢٢٤. البحر المحيط ٦٢/١ .
٢٢٥. تفسير الطبري ١٠١/١ .
٢٢٦. الصافات ٦٥ .
٢٢٧. أي شعر نابت في مُحَدَّب رقبتها – المصباح المنير ٤٠٥ .
٢٢٨. معاني القرآن ٣٨٧/٢ .
٢٢٩. الأنعام ١١٢ .
٢٣٠. تفسير الطبري ٤/٧ .
٢٣١. عمدة التفسير ٧١٣/١ .
٢٣٢. البحر المحيط ٢٠٧/٤ .
٢٣٣. البقرة ٢٣ .
٢٣٤. البرهان ١٠٨/١ .
٢٣٥. سورة ق ٢١ .
٢٣٦. الكشاف ٧/٤ .
٢٣٧. الزمر ٦٩ .
٢٣٨. الكشاف ٤١٠/٣ .
٢٣٩. النساء ٤١ .
٢٤٠. الكشاف ٥٢٧/١ .
٢٤١. النحل ٨٩ .
٢٤٢. الكشاف ٤٢٤/٢ .
٢٤٣. البقرة ١٤٣ .
٢٤٤. الحج ٧٨ .
٢٤٥. الكشاف ٣١٧/١ .
٣٤٦. السابق ٢٤/٣ .
٢٤٧. المائدة ٨٣ .
٢٤٨. الكشاف ٦٣٩/١ .
٢٤٩. المدثر ٣١ .
٢٥٠. البرهان ١٠٨/١ .
٢٥١. الحج ٤٠ .
٢٥٢. البرهان ١٠٨/١ .
٢٥٣. التوبة ١٠٣ .
٢٥٤. عمدة التفسير ١٧١/٢ .
٢٥٥.التوبة ٩٩ .
٢٥٦. عمدة التفسير ١٦٩/٢ .
٢٥٧. البقرة ١٥٧ .
٢٥٨. عمدة التفسير ١٨٠/١ .
٢٥٩. الأحزاب ٤٣ .
٢٦٠. عمدة التفسير ٥١/٣ .
٢٦١. الأحزاب ٥٦ .
٢٦٢. عمدة التفسير ٥٩/٣ .
٢٦٣. الإسراء ٩٧ .
٢٦٤. البرهان ١٠٨/١.
٢٦٥. عمدة التفسير ٤٠٣/٢ .
٢٦٦. البقرة ١٨ .
٢٦٧. التفسير الكبير ٣٩٥/١ .
٢٦٨. السابق ١١/٣ .
٢٦٩. النمل ٨٠ .
٢٧٠. التفسير الكبير ٤٥٣/١٢ .
٢٧١. النور ٢ .
٢٧٢. البرهان ١٠٨/١ .
٢٧٣. الحشر ٣ .
٢٧٤. التفسير الكبير ٢٨٥/١٥ .
٢٧٥. المؤمنون ٦٤ .
٢٧٦. البحر المحيط ٤١٢/٦ .
٢٧٧. القلم ٣٣ .
٢٧٨. التفسير الكبير ٤٠٣/١٥ .
٢٧٩. عمدة التفسير ٤٩٧/٣ .
٢٨٠. النمل ٢١ .
٢٨١. التفسير الكبير ٤٢٩/١٢ .
٢٨٢. البقرة ١١٦ .
٢٨٣. الروم ٢٦ .
٢٨٤. البرهان ١٠٨، ١٠٩ .
٢٨٥. الكهف ٨٢ .
٢٨٦. البرهان ١٠٩/١ .
٢٨٧. التفسير الكبير ١٦٦/١١ .
٢٨٨. تفسير الطبري ٦٠٥/١٦ .
٢٨٩. النور ٣٥ .
٢٩٠. البرهان ١٠٩/١ .
٢٩١. عمدة التفسير ٥٨٥/٢ .
٢٩٢. الكشاف ٦٧/٣ .
٢٩٣. عمدة التفسير ٢٠٧/٣ .
٢٩٤. النساء ٦ .
٢٩٥. البرهان ١٠٩/١ .
٢٩٦. البقرة ٢٣٠ .
٢٩٧. التفسير الكبير ٣٣٤/٣ .
٢٩٨. الأحزاب ٥٠ .
٢٩٩. التفسير الكبير ٢١٢/١٣ .
٣٠٠. القصص ٦٦ .
٣٠١. البرهان ١٠٩/١ .
٣٠٢. التفسير الكبير ١٠/١٣ .
٣٠٣. عمدة التفسير ٦٨٩/٢ .
٣٠٤. القصص ٢٣ .
٣٠٥. البرهان ١٠٩/١ .
٣٠٦. مريم ٨٦ .
٣٠٧. التفسير الكبير ٢٦٢/١١ .
٣٠٨. يوسف ١٩ .

٣٠٩. عمدة التفسير ٢/٢٥٢ . ٣١٠. مريم ٧١ . ٣١١. عمدة التفسير ٢/٤٥٢ .
٣١٢. تفسير الطبري ١٦/٨٤، ٨٥ . ٣١٣. البقرة ٢٨٦ . ٣١٤. الطلاق ٧ .
٣١٥. البرهان ١/١٠٩ . ٣١٦. التفسير الكبير ١٥/٢٥٢ . ٣١٧. الرعد ٣١ .
٣١٨. زهدم : اسم فرس لسحيم بن وثيل ، وقيل هذا البيت لابنه جابر وليس له . اللسان (يأس – زهدم) .
٣١٩. البرهان ١/١٠٩، ١١٠ . ٣٢٠. تفسير الطبري ١٣/١٠٣، ١٠٤ . ٣٢١. الكشاف ٢/٣٦٠ .
٣٢٢. الشاعر هو لبيد بن ربيعة ، والبيت في وصف كلاب الصيد ، والغضف كلاب الصيد لضغف آذانهن وهو إقبالها على القفا ، ودواجن : ألفن البيوت ، وقافلاً : يابساً ، والأعصام القلائد – الديون .
٣٢٣.البحر المحيط ٥/٣٩٢ . ٣٢٤. معاني القرآن ٢/٦٣، ٦٤ . ٣٢٥. التفسير الكبير ١٠/٥٢ .
٣٢٦. عمدة التفسير ٢/٢٨٩ . ٣٢٧. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٩٢ .
٣٢٨. الفرقان ٤٢ . ٣٢٩. سورة ص ٦ . ٣٣٠. البرهان ١/١١٠.
٣٣١. البقرة ١٧٥ . ٣٣٢. التفسير الكبير٣/٣٣ . ٣٣٣. البحر المحيط ١/٤٩٤ .